روايات عبير



sarah

كاي ثورب

أقدام في الوحل

www.liilas.com/vb3

liilas.com

روايات عبير

sarah

HARLEQUIN – 'ABIR' – No. 73

اقدام في الوحل

سافرت كيم الى أدغال افريقيا لتلقى خطيبها اداميس فوجدته مع امرأة اخرى... صدمت وفقدت املها بالحياة، كانت وحيدة مفلسة لا مأوى لها، ولا صديق. التقاها صدفة دايف رئيس عمال المناجم فاشفق على حالها وعرض عليها زواجا مؤقتا يبقيها في البلد ويساعدها على الخروج من ورطتها. لم يكن امام كيم حل آخر، ولكنها لا تعرف دايف، فكيف تقترن به؟ واذا رفضت فستواجه مصاعب ومتاعب شتى... اخيراً رضخت للأمر الواقع ووقعت على وثيقة الزواج. غريبان تحت سقف واحد، كيف تكون نهارتهما ولياليهما؟ لا شيء يجمع بينهما. لا ماض ولا حاضر ولا مستقبل. عقد الزواج مدته ستة اسابيع، ترى اية عذابات تنتظر كيم مع رجل متسلط قاس... وكيف تتصرف حين يطالبها بحقوقه الزوجية! انها زوجة مؤقتة، زوجة على الورق، لا يمكن ان تفرط بنفسها، وعليها ان تناضل وتقاوم رغباته، ولكن الى متى؟

liilas.com

sarah

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية
THE IRON MAN

© KAY THORPE 1974
© 1983 Harlequin (Cyprus) Ltd.

المراسلات
Harlequin (Cyprus) Ltd.
29 Michalakopoulou St.
Athens T.T. 612, Greece

Printed in Great Britain by
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd. Bungay. Suffolk

www.liilas.com/vb3

١ - صمت مفاجىء

انطلقت السيارة من مدينة فريتاون وقطعت مسافة مئة وخمسين كيلومتراً، وسط مناظر طبيعية غنية بالنباتات والأشجار ذات اللون الأخضر الفاقع. لكن، في ضواحي المنجم، لا شيء سوى الخراب والغبار، ديكور خيالي، مليء بالآليات الضخمة التي تكتسح الشواطىء الصخرية الرمادية كالطيور الكاسرة. وبعض ذرات المعادن بقيت معلقة، مشكلة سحابة لماعة تحيط بعمال المناجم وبالأبنية ذات السقوف المطلية بالحديد.

عندما هبطت كيم من سيارة الجيب القديمة، في مدخل المكان الرئيسي، ابعدت عن خصرها حزام سروالها وحلمت بالحمام البارد والصابون المعطر. لكن عليها ان تنتظر قبل تحقيق احلامها هذه. في

liilas.com

sarah

الوقت الحاضر امامها اشياء ملحة واكثر اهمية، يجب ان تحققها.

الحارس الذي خرج من مركز المراقبة كان افريقياً. لم ينطق بأية كلمة وهو يراها تنزل من السيارة، لكنه اخذ يتفحصها بدقة وفضول.

قالت له:

«إني ابحث عن كريستوفر ادامس. أين يمكنني ايجاده؟».

هز الرجل رأسه بتمهل، ثم دخل الى مركز المراقبة وتناول سماعة الهاتف. تكلم بصوت منخفض، ثم وضع السماعة مكانها. واعلن قائلاً:

«المدير آت. انه يطلب منك انتظاره هنا».

انتظرت كيم، فلا مجال أمامها لأن تفعل شيئاً آخر. على الأقل يمكن للمدير ان يطلعها على ما تريد ان تعرفه.

لقد حدث شيء ما لكريس، بكل تأكيد. لكن ماذا؟ حاولت ان تتحرر من هذا الخوف العادي جداً. انه ما زال حياً، هذا اكيد، لو وقع له حادث ما، لأعلمتها السلطات المسؤولة بذلك. ان صمته الذي يستمر منذ شهرين له سبب اخر بدون شك. لم يسبق لكريس ان تركها من دون اي خبر، الا اذا كان هناك سبب. فليس هو ذلك الرجل الذي يقطع اي اتصال لأنه غيّر رأيه ولم يعد يريد الزواج منها، والا لكان كتب اليها رسالة واخبرها بذلك صراحة.

وصلت سيارة مسرعة آتية من مجموعة المباني، وتوقفت وراء السياج ونزل منها رجل طويل القامة. رفع قبعته المغبرة وهو ينظر الى كيم في تمعن. ثم قال:

«انا دايف نيلسون. وأنت من تكونين؟».

وأمام نبرة صوته الحادة، رفعت ذقنها وقالت:

«كيمبرلي فريمان، خطيبة كريس ادامس. هل يمكنني رؤيته؟».

عض المدير على شفتيه واحتدت نظرته واجابها:

«انه ليس هنا. لم يعد هنا منذ خمسة اسابيع. وانا لو كنت

مكانك، لعدت من حيث اتيت».

حدقت فيه كيم وقالت:

«لم يعد هنا؟ اذن، اين هو؟ لا شك انك تعرف مكانه!».

رفع حاجبه الأسود بسخرية وقال:

«ولماذا علي ان اعرف مكان وجوده؟».

«لأنه كان يعمل هنا! لقد حدث له شيء ما، أليس كذلك؟ الهذا السبب لا تريد ان تكلمني؟ اذن، لن اذهب من هنا الا بعد ان تخبرني ماذا جرى له!».

عم الصمت من جديد. القى الرجل نظرة الى الحارس الافريقي واشار اليه برأسه. ثم قال لكيم في نبرة غير مرحبة:

«تعالي، ادخلي. قولي للسائق ان ينتظرك. فلن تبقي وقتاً طويلاً».

اطاعت كيم وهي ترتجف غضباً وقلقاً. حواسها الخمس تقول لها ان شيئاً مؤسفاً قد حصل.

انحنت ومرت من تحت السياج. كان الرجل يتأمل المرأة الشابة النحيفة، وشعرها الطويل الأسمر يظهر عن وجه فيه من الاثارة اكثر ما فيه من الجمال. عيناها الخضراوان تعبران عن نظرتها المليئة بالتحدي.

قال بجفاف وهو يفتح باب سيارته:

«سنذهب الى المكتب».

هبط المقعد عندما جلس دايف قرب كيم. لم تلفظ اية كلمة عندما عاد الى اعقابه مسرعاً. القت نظرة سريعة على يديه القويتين السمراوين المتقلصتين على المقود. هذا الرجل ينتمي الى جنس من الرجال لم تلتق به يوماً. يبدو في سن تتجاوز الثلاثين، ومع ذلك فهو قاس، وقح وربما هو عديم الشفقة ايضاً. انه مثل رجل رأى كل شيء، وفعل كل شيء، ولم يعد يتأثر او ينفعل لأي شيء، رجل لا يمكنها ان تضع ثقتها فيه، اياً كانت الظروف.

www.liilas.com/vb3

liilas.com

sarah

وقفت السيارة امام مخيم لا يتميز عن غيره من المخيمات المجاورة سوى ان بابه مطلي بالدهان الأحمر. تبعته كيم الى داخل مكتب داق،، في داخله طاولتان وخزانات وملفات، وبعض الكراسي، وسرير ميدان عليه غطاء رمادي قديم.

قال لها بخشونة:

«تفضلي بالجلوس».

استند الى زاوية احد المكاتب وسحب من جيبه علبة سكائر وقال:

«هل تدخنين؟».

هزت كيم رأسها، بدون ان تجلس في الكرسي الذي كان يشير اليه. اخذ وقته وهو يشعل سيكارته، وادركت انه يجعلها تنتظر عن عمد. قالت وهي تضع يديها في جيبي سروالها لتخفي ارتجافهما:

«اردت ان تحدثني عن كريس. لماذا ترك عمله هنا؟».

اجاب بقسوة وهو ينظر اليها وعيناه الرماديتان تلمعان شراً:

«لأنني طردته من العمل. انه يعيش في مدينة فريتاون، اذا كان هذا الأمر يهمك».

اجابته بحدة:

«ولماذا تريد الا يهمني الأمر. ربما حصل بينكما خلاف، لكن ذلك لا يغير رأيي فيه. هل يمكنك ان تعطيني عنوانه؟».

حول دايف نيلسون نظره من وجه كيم الى طرف سيكارته المتأججة، من دون ان يغير من لهجته.

«الا تريدين معرفة السبب الذي جعلني اطرده من العمل؟».

كانت كيم ترغب بمعرفة السبب، لكن لا شيء يجعلها تبوح بذلك امام هذا الرجل المتغطرس.

«سأسأله عن السبب عندما اراه. العنوان من فضلك!».

هز كتفيه قائلاً:

«كما تريدين».

انتصب واقفاً، ومد يده الى مكتبه وفتح الدرج وانتزع صفحة من دفتر صغير وقال:

«خذي».

تناولت الورقة وقرأت ما كتب عليها، ثم رفعت عينيها:

«هل ترك لك هذا بنفسه؟».

«لا. لكن انا الذي حاولت معرفة عنوانه بنفسي».

«لماذا؟».

تقلص فمه القاسي:

«هذا لا يعنيك. هل اتيت من مكان بعيد؟».

«من انكلترا».

وفي الحال تغيرت تعابير وجهه وقال:

«انت لا شك عنيدة ومتصلبة، اليس كذلك؟ يا لها من مسافة طويلة قطعتها من اجل اللحاق برجل!».

لمعت عيناها الخضراوان فقالت:

«الرجل هو خطيبي وانوي الزواج منه. لا اعرف ماذا حدث هنا ولا اريدك ان تخبرني ما حدث، يا سيد نلسون. كل ما اعرفه، انه لا شك ان لكريس سبباً وجيهاً دعاه الى عدم الرد على رسائلي اذا كانت قد وصلته».

لمحة اهتمام عبرت في وجه دايف نلسون فهمس:

«عناد وثقة. انك حقاً فتاة رهيبة، آمل ان تظلي مقتنعة بأنه يستحق كل هذا عندما تلحقين به».

وضع يده في الدرج وسحب لفة رسائل.

«لا شك ان هذه الرسائل منك».

فانتزعتها منه وقرأت الغلافات ورفعت عينيها الغاضبتين قائلة:

«لم تفتح بعد! من البديهي ان كريس لم يرها ابداً».

«لقد رآها. لكنه لم يبذل اي مجهود لفتحها او قراءتها».

ارتبكت كيم. نظرت اليه بدون ان تفهم شيئاً، وبحثت عن

liilas.com

جواب:

«انت تكذب!».

رفع دايف حاجبيه بسخرية:

«هذا صحيح؟».

صرخت وهي تشد على معصمها، وتغرز اظافرها في قبضتي يديها:

«نعم، صحيح! اني اعرف خطيبي كما يجب».

«ربما تعرفين الشاب الذي تركك في انكلترا منذ ثمانية عشر شهراً. ان البلدان الاستوائية تغير الانسان تغييراً شاملاً!».

«ماذا تعني؟».

«كم عمرك؟».

اجابت بدون تفكير:

«ثلاث وعشرون سنة. لكن لا ارى لماذا...».

تابع كلامه:

«انك في سن تجعلك لا تحتاجين الى شرح للظروف. هذا يعني ان بعض الحاجات تصبح الزامية، اذا صح التعبير».

شعرت كيم بالاحمرار يعلو وجنتيها:

«الآن، اعرف انك تكذب! ان كريس ليس ... لن...!».

«لن يفكر بامرأة اخرى ما دمت تنتظرينه هناك؟ اهذا ما تريدين قوله؟ انت امرأة واثقة من نفسك الى حد السخرية، او ساذجة الى حد الغباء».

تراجع الى الوراء عندما رفعت كيم قبضة يدها وراحت تشد بكل عنف على معصمه، مما جعلها تفقد توازنها، وتتهاوى عليه.

وراحت تصرخ وعيناها تلمعان ووجهها يحترق حرارة:

«اتركني! لا تلمسني! انك تحكم على الآخرين حسب ميولك، يا سيد نلسون، لكنك لن تجعلني اصدق ما كنت تقوله عن كريس».

«تريدين براهين حسية؟ حسناً، اذهبي الى العنوان الذي بين

يديك وسوف تحصلين عليها. جابهي الحقيقة، يا جميلتي. لقد قطعت آلاف الكيلومترات، لكن خطيبك يعيش مع امرأة اخرى، في مدينة فريتاون، وهو لا ينوي هجرها. اعتبريه رجلاً قذراً من الدرجة الأولى، وعودي الى بلادك. فلن يصعب عليك العثور على رجل يحل مكانه».

زال الاحمرار عن وجه كيم، تاركاً مكانه الشحوب.

سألت بمرارة:

«هل اخذ منك المرأة التي تحبها، ولهذا السبب طردته من العمل؟».

لمعت عيناه الرماديتان ببريق متوعد:

«لو كان ذلك صحيحاً، لكنت تصرفت معه غير ذلك! بدأت تغيرين رأيك، أليس كذلك؟».

صرخت وعضت على شفتيها عندما فهمت سخريته:

«لا! في كل حال، فلن اصدق شيئاً الا بعدما يخبرني كريس بنفسه».

«اذن، انت تعرفين الى اين ستذهبين. سأعيدك الى المدخل المسيج».

«لا تزعج نفسك. اعرف طريق العودة».

في سرعة وصل الى الباب قاطعاً عليها الطريق وقال:

«مستحيل! في الخارج رجال لم يروا امرأة منذ زمن طويل. يكفي ما افعله جاهداً للمحافظة على فريق العمل».

فتح الباب ولما وصلا الى سيارة الجيب قال لها:

«يمكنك الصعود، الا اذا كنت تفضلين ان ارميك داخلاً. اختاري».

كانت كيم ترتجف غضباً، فريسة انفعال آخر لم تستطع ان تحدد نوعه. وقالت:

«انك حقاً رجل قاس. من السهل التكهن بأنك انت ايضاً محروم

www.liilas.com/vb3

منذ زمن طويل من معاشرة الناس المتمدنين يا سيد نلسون!».

اجابها من دون تعبير معين:

«انت محقة تماماً. وهذا يجعلني اقل لطفاً مما كنت عليه في البداية. حاولي ان تتدخلي في شؤوني لأريك الى اية درجة انا قاس. اتريدين ان تصعدي الى السيارة، او...؟».

مرت كيم امامه من دون ان تنطق بكلمة واحدة وجلست في المقعد الأمامي، والتصقت بالباب. كان عقلها مخدراً ومسترخياً. ربما هذا افضل. فهي لا تريد ان تغرق في التفكير منذ الآن، ليس قبل ان تصبح بعيدة عن هذا المكان وعن هذا الرجل.

بعد قليل، تطلعت الى المدخل المسيج حيث تم الاتفاق ان ينتظرها سائق التاكسي. نزلت من السيارة وهرولت مسرعة وراحت تتأمل الطريق المعبدة القاحلة والمتعرجة، كأنها تأمل ان تظهر السيارة بقوة ارادتها.

راحت تصرخ قائلة:

«قلت له ان ينتظر. لقد كررت عليه ذلك!».

تبادل دايف نلسون بعض الكلمات مع الحارس وعاد اليها وهو يهز كتفيه العريضتين القويتين:

«لا شك انك لم تلحي عليه للبقاء. لقد رحل في الوقت الذي ابتعدنا عنه. هل دفعت له الاجرة مسبقاً؟».

همست كيم:

«نعم، فقد اصر على ذلك. والآن ارجوك ان تأخذني بنفسك الى هناك...».

«آسف، فليس تحت تصرفي سيارة ذاهبة الى المدينة قبل غد».

لم يبد متأثراً لوضع كيم التي شعرت فجأة بأن الغضب ينتابها من جديد:

«اذا كنت تتصور اني سأمضي الليلة في هذا... في هذا المكان القذر، فأنت مخطىء!».

«ليس لديك اي اختيار آخر. الا اذا فضلت قضاء الليل في الهواء الطلق. وفي كل حال، هذا لا يفرحني ابداً».

قالت بسخرية:

«آه. نعم! رجالك. وكيف تنوي اخفائي حتى الصباح يا سيد نلسون؟».

اجابها بنبرة ساخرة جعلتها تحمر خجلاً:

«يمكنني ان اخبئك داخل سريري. يبدو اننا نفقد قليلاً من ثقتنا ببعضنا. لا تقلقي، ليس لدي اي هدف سيء. اني افضل النساء الأقل براءة. يجب ان تكتفي بوضعك داخل النادي. انه المكان الوحيد الذي اجد فيه سريراً مناسباً. حاولي ان تتذكري ان المهندسين العاملين هنا لم يتخرجوا من المدارس الكبيرة، وعليك ان تتصرفي حسب المقتضى. هل اتفقنا؟ لن اقول انك ستكونين في خطر جدي، لكن اي انزلاق منك في الاتجاه غير الصحيح يمكنه ان يضعك في مأزق من الأفضل تجنبه».

لم تنطق بكلمة واحدة وهي تصعد الى السيارة من جديد. وقررت المحافظة على صمتها.

اخذ طريقاً اخر، الى اليسار، تحيط به الاشجار الضخمة، حيث شيدت عدة مبان من حجارة القرميد.

النادي كناية عن مبنى منخفض، لكنه عريض ويقع في طرف الأبنية الاخرى. الرجال يستغرقون في الكراسي المريحة والمبعثرة على العشب الاخضر المسوى، يحتسون العصير. توقف الحديث الدائر هناك عندما توقفت سيارة الجيب ونزلت منها كيم. وما لبث ان سمعت صفير اعجاب جعل الاحمرار يعلو خديها.

«كفى! هل رأيت لوك؟».

اجاب من دون ان يرفع نظره عن كيم:

«نعم. انه هنا في الداخل. الا تعرفني على الآنسة؟».

«ليس الآن».

www.liilas.com/vb3

دعا دايف كيم الى الدخول، متجاهلاً نظرات الفضول المصوبة من الجميع. في الداخل كان الهواء مكيفاً. طاولة البيليارد تحتل الجزء الأكبر من الصالة. ورجل واحد يلعب ظل يحدق بالطابة من دون الالتفات اليها، سدد ضربته في مهارة ورشاقة، ثم انتصب مليئاً بالامتنان واعلن قائلاً:

«في هذه اللعبة، حركة الكوع هي الأساسية. اذا. . .».

توقف عن الكلام ورفع حاجبيه وبقي فمه مفتوحاً. عيناه الزرقاوان تحدقان في كيم، من قدميها حتى رأسها، ولمعت ابتسامة عريضة في وجهه:

«هكذا اذن فقد تسلم بابا نويل رسالتي!».

رمى دايف قبعته على المقعد ومرر يده في شعره الأسمر السميك وراح يضحك.

«لا تتأمل خيراً. هل هناك غرفة للسيدة يا لوك؟ ستمضي الليلة هنا».

«يا لك من امرأة شجاعة! هل جئت بواسطة رحلة منظمة؟ لو كنت مكانك، لطلبت تعويضاً مادياً على هذا».

ابتسمت آلياً في وجه الرجل صاحب النظرات الملتهبة، الذي يبدو ودياً بصورة خاصة. وقالت:

«لقد نسيت ان احصل على تأمين. واني آسفة لازعاجك».

اقترب لوك منها وهو ما يزال ينظر الى دايف:

«قم بواجبك، يا صديقي. الا اذا كان ذلك سراً!».

«لوك، هذه كيمبرلي فريمان. آنسة كيم هذا لوك دروماند. هذا كل ما تحتاج الى معرفته. فأين تلك الغرفة؟».

«حسناً. فهمت. انك تحب دائماً الألغاز والأسرار، يا دايف».

قالت كيم:

«جئت لأرى خطيبي كريس ادامس».

انقبض قلبها لدى رؤية التغير المفاجىء الذي طرأ على وجهه.

والنظرة التي القاها الى دايف بددت الأمل الضعيف الذي كانت لا تزال تحتفظ به. وهكذا، فإن نلسون لم يكذب، كما يبدو.

قال لوك بعد صمت طويل مزعج:

«حسناً: اذن سوف نذهب لرؤية الغرفة. من هنا».

دخل الى الممر حتى نهايته. همس دايف في اذن كيم التي تبعت لوك:

«هل انت راضية؟».

فتململت ثم قالت:

«ليس هذا سهلاً. وخاصة اذا كنت انت من يقول ذلك».

«ان لوك يخبرك القصة نفسها، اذا طرحت عليه الاسئلة نفسها».

«لست اشك في ذلك. اني اكيدة بأن الجميع سيخبرونني الشيء نفسه اذا سألتهم. واعتقد انه لا يوجد هنا احد مستعد لمعارضتك يا سيد نلسون. سيكلفه ذلك غالياً ويصبح مهدداً بخسارة وظيفته».

حدق دايف فيها مطولاً قبل ان يقول بصوت قاطع وجلي:

«اني اعترف بشيء واحد. انت آنسة جريئة وللأسف انك لا تتمتعين بعقل سليم او ادراك صحيح. سوف اعيد ما قلته وللمرة الأخيرة. لا تظني اني اقدم لك بعض الامتيازات لأنك امرأة. لو تكلم معي رجل بالطريقة نفسها التي تكلمينني بها، لصفعته. لكن هناك طرق اخرى لمعاملة النساء. . . وليس هناك واحدة تعجبك».

عضت كيم على شفتها. وادارت ظهرها وتبعت لوك ووجدته امام باب مفتوح يطل على غرفة صغيرة. قال لها وهو ينظر اليها تتنقل داخل الغرفة، من النافذة الى السرير وتتحسس سماكة الفراش:

«ان هذه الغرفة مخصصة للشخصيات التي تزور المخيم. لكن للأسف ليست مفروشة كما يجب ولا اثر للترف هنا».

اجابت قائلة:

«انها تكفيني. لن امضي سوى ليلة واحدة. هل تعمل هنا في المنجم منذ مدة طويلة، يا سيد دروماند؟».

www.liilas.com/vb3

«منذ سنتين. ولا تزال امامي سنة خدمة لأنفذ العقد وبعدها آخذ عطلة كبيرة مدتها ستة اشهر، ثم اعود الى هنا للعمل ثلاث سنوات، من جديد».

كان ظهره مستنداً الى اطار النافذة، ويداه على صدره الضخم.

«الا تجد ان الطقس مرهق؟».

«بلى، بالطبع. نكاد نختنق. لكن ما يخفف عنا وطأة الطقس هو الراتب المحترم الذي نتقاضاه».

ترددت كيم وهي تسأل:

«هل انت متزوج؟».

اجابها ضاحكاً:

«كلا! لم التق بعد المرأة القادرة على ان تنتظر ثلاث سنوات حتى يعود زوجها!».

«ربما لم تعثر بعد على المرأة المناسبة. لا شك ان عددهن قليل، لكن من الصعب العثور عليهن بسهولة».

من جديد، بدا عليه الانزعاج:

«سأستدعي احداً ليرتب السرير. اذا جئت الى غرفة البيليارد حوالى الساعة الخامسة، سأدبر لك بعض الطعام. الا اذا كنت جائعة الآن؟».

هزت رأسها. ولما رأته يستعد للذهاب، فهمت انها غير قادرة على تجاهل الحقيقة، اذ عليها ان تعرف المزيد. فقالت بدون انزعاج:

«لوك، ماذا تعرف عن كريس؟».

استدار نحوها وهز كتفيه قليلاً:

«اسألي دايف. انه يعرف كل التفاصيل».

«اسألك انت يا لوك. اني في حاجة الى اثباتات قبل ان اصدق ما يقول».

تفحصها لوك بفضول قائلاً:

«ليس هناك من سبب ليكذب عليك؟ لا شيء يمنعه من قول

الحقيقة. حسب معرفتي فقد حاول دايف مساعدة كريس ادامس وجعله يدرك جيداً ما يفعله، لكن هذا الأخير لم يستمع اليه».

جلست كيم على السرير، مكتوفة اليدين. وسألته في صوت منخفض:

«ماذا جرى. ارجوك يا لوك، ان تخبرني بما حدث».

تردد. لم يكن يريد ان يتكلم في الموضوع، لكنه غير قادر ان يرفض توسلاتها من دون ان يبدو فظاً.

«ليست هناك امور كثيرة تقال حول هذا الموضوع. فقد حدث شجار بين كريس وأحد الرجال حول المرأة التي يعاشرها كريس، مما ادى الى اصابة الرجل بكسور في ضلوعه».

«لكنه لم يخسر وظيفته؟».

«كلا».

وبصعوبة لفظت كيم كلماتها:

«لنضع جانباً الطرف الآخر من القصة، في الوقت الحاضر. هل تعتقد ان ما حصل عادل؟».

ومرة اخرى، هز لوك كتفيه وبدا منزعجاً:

«نعم. ما دام خسر ماي».

شعرت بحلقها يجف وقالت بصعوبة:

«ماي؟».

«الم تعرفي ان ادامس هرب مع احدى نساء القرية؟ اعتقدت ان دايف اخبرك بذلك على الأقل».

«لا. لم يذكر اسم المرأة».

هكذا اذن، فالمرأة هندية، مولود خليط. لكن هل هذا التفصيل يغير شيئاً؟ لقد فضلها كريس على خطيبته التي تنتظره في انكلترا. وذهب ليعيش معها، من دون شعور بالندم او الخجل، في مدينة غريبة، في بلد بعيد. لا، المدينة ليست غريبة بالنسبة اليه، فقد عاش هنا منذ سنتين. اجتاح العذاب قلب كيم في هذه اللحظة

www.liilas.com/vb3

وتسرب الى كل وتر من اوتار جسمها. كيف يمكنه ان يتغير هكذا! هذا الرجل الذي اعتقدت يوماً انها تعرفه جيداً، كيف يمكنه ان يعاملها هكذا، يتركها وحيدة تأكلها الهواجس والأفكار من دون ان يسأل عنها.

لم تسمع الباب يغلق وراء لوك، اذ كانت غارقة في ذكرياتها مع كريس. كان عمره ٢٥ سنة وهي ٢٠، عندما التقيا للمرة الأولى. وانجذبا لبعضهما بسرعة. لم يكن حبهما شعلة مفاجئة لشغف عاطفي، انما تفتح وازدهر تدريجيا وكان صادقاً وحقيقياً. هكذا كانت تعتبره، على الأقل. وتذكرت كيم اليوم الذي اخبرها فيه كريس عن هذه الوظيفة في سيراليون، وحماسه عندما راح يسرد لها مفصلا مميزات هذه الوظيفة وخاصة المعاش المرتفع الذي سيقبضه والمبلغ الذي سيضعه جانباً ليؤمن مستقبلهما، حتى ولو كان عليهما ان يؤجلا الزواج ثلاث سنوات. كانا ينويان الزواج على الفور، لكنهما اتفقا في النهاية على التريث.

ومر الوقت ببطء كبير، كان كريس يكتب الرسائل بصورة مستمرة، لكن لم يكن ذلك كافياً. منذ ستة اشهر، قالت له كيم ان في امكانها المجيء الى افريقيا الغربية والعمل في فريتاون حتى يتسنى لهما الزواج. لكن جواب كريس كان سريعاً وواضحاً: الطقس رهيب في هذه البلاد. ولا يتحمله الا من كان مضطراً الى ذلك. ثم انه لا يمكن ان تبقى وحدها في فريتاون بينما هو يعمل في المنجم، على بعد مئة وخمسين كيلومتراً، في الجبل. من الأفضل اذن ان تبقى في انكلترا، خصوصاً وانه لم يعد امامهما سوى سنة ونصف سنة، وسيمر الوقت بسرعة. كان مشتاقاً لرؤيتها من جديد، لكن مجيئها الى فريتاون لا يخدم مصلحتها.

وبعد ذلك، بدأت لهجة رسائله تتغير بعض الشيء وبدت اكثر غموضاً ومراوغة. وظنت كيم بأن كريس يعاني من بعض المشاكل، لكنه انكر ذلك في حدة، عندما سألته اذا كان يشكو من شيء ما. ثم

بدأ الانتظار الطويل والصمت المفاجيء والشك والقلق. انتظرت كيم سبعة اسابيع قبل ان تستسلم الى النزوات التي جرفتها الى الطرف الآخر من العالم، للبحث عن تفسير، ما وجدته!

نفضت رأسها لتزيح عن تفكيرها كل الماضي المؤلم. يجب اذن ان تواجه الحقيقة. لكن، ماذا عليها ان تفعل؟ قبل كل شيء يجب ان ترى كريس، وان تسمع منه بوضوح وبصورة نهائية انه لم يعد يريدها زوجة له. وقبل ان يحصل هذا اللقاء فهي ترفض التصديق بأنه تخلى عنها. قال دايف نلسون: «ان البلدان الاستوائية تغير الانسان بصورة شاملة». هذا التفسير تقبل به، لكنها لن تسامح نفسها اذا لم تذهب حتى النهاية.

غسلت كيم وجهها، ثم سرحت شعرها ووضعت الأحمر على شفتيها، وشعرت بأنها مستعدة لمواجهة العالم، وبرغم انها تريد ان تتحاشى رؤية دايف نلسون، فإنها لم تستطع البقاء في غرفتها. فتحت الباب وتوجهت الى غرفة البليارد.

www.liilas.com/vb3

وارتاحت عندما وجدت لوك موجوداً بين الرجال ولم تجد دايف نلسون. عرفها لوك الى بقية الرجال، باختصار وسرعة. من دون ان يشرح لهم سبب وجودها في المنجم. في اي حال، لم يكن احد مهتماً بالأمر.

كان الرجال من جنسيات مختلفة، لكن معظمهم من الانكليز. بعض الافريقيين انضموا الى النادي، لكن العلاقات بينهم وبين الانكليز ودية على عكس ما كان كريس يقوله في رسائله، من ان ليس كل شيء سهلاً بين الاعراق المختلفة.

الساعة الخامسة والنصف ودايف نلسون لا يزال غائباً. لا احد لفظ اسمه. جلست كيم مع لوك ورجلين اخرين وراء احدى الطاولات في غرفة الطعام وشاركتهم العشاء المؤلف من شرحات اللحم المطبوخة مع الملفوف وبعض الفاكهة. اما القهوة فكانت لذيذة. لم تنزعج كيم من وجودها بين هؤلاء الرجال الذين لا شك

انهم قساة بعض الشيء، لكنهم ليسوا اشراراً. بعضهم لم يزر بلاده منذ سنوات عديدة، وهم يعلنون للجميع بأنهم لا ينوون العودة الى بلادهم مهما كلف الأمر. انهم يفضلون المناخ الاستوائي. ويتكلمون عن حنينهم لبلادهم ومنازلهم وعائلاتهم.

لم تعرف جيداً كيف بدأ الشجار. كان احد الالمان يحني رأسه على الطاولة، بقربها، ويحدثها عن بلاده التي زارتها مرة، عندما تقدم فجأة احد ابناء بلادها وربت على كتف الالماني. ولما استدار هذا الاخير، ضربه بمعصمه على فكه. وللحال، تدحرجا معاً على الأرض، ونهض بقية الرجال وراحوا يصيحون بكلمات التشجيع وبالنصائح لأحدهما الذي كان يبدو انه المنتصر على الآخر.

وفي هذا العراك الجماعي، لم يسمع احد صراخ لوك. فجأة ظهر دايف نلسون، فهدأت المعركة بعض الشيء. وكان عليه ان يستعمل يديه ليفرق الجميع حتى يصل الى المتشاجرين ويفصلهما.

وراح يصرخ:

«ماذا يجري؟ ولماذا هنا بالذات؟ اذا اردتم ان تتشاجروا، فأمامكم الجبل كله. لكني لا اسمح بمعارك داخل النادي!».

اخبره لوك ماذا جرى، في صوت منخفض حتى ان كيم لم تسمع ما قاله. لكن نظرته اليها كانت كافية. التفت دايف نحوها، وغمغم ببعض الكلمات للمتشاجرين ودلهما الى الباب باشارة من رأسه:

«اذهبا واغسلا رأسيكما بالماء البارد. اذا اعدتما الكرة، سأحرمكما من معاش شهر كامل».

خرج الرجلان في ارتباك وتبعهما آخرون. اقترب دايف من كيم التي بقيت جالسة في الكرسي امام الطاولة. كان تعبير وجهه قاسياً وغاضباً. قال لها:

«لم تحتاجي الى وقت طويل، اليس كذلك؟».

احتجت قائلة:

«لم افعل شيئاً!».

«كنت هنا، ولم تهتمي الا برجل واحد من بين الجميع. لقد نبهتك».

قالت بحدة، رافضة ان تشعر بالخجل:

«لم تنبهني الى شيء، ولم تقل لي انه لا يحق لي ان اتكلم معهم. هل هي غلطتي انا اذا وجد احدهم حجة لكي يصفع آخر لأنه لا يعجبه؟».

«المرأة هي دائماً سبب جميع المشاكل! انها غلطتي انا. كان علي ان اخفيك عن الانظار، حتى يتسنى لي الوقت لأبعادك من هنا».

«حسناً اني سعيدة لأنك تضع على نفسك جزءاً من اللوم. هل يجب ان اتنكر واختفى الى ان تنتهي السهرة؟».

فوجئت اذ رأت شفتيه ترتجفان ويحتل عينيه الغريبتين مرح ولا اروع.

قال:

«لقد وقع المحظور. لكن، انصحك من الآن فصاعداً، بالا تبتعدي عن بصري. لنقل انها احدى الميزات التي يتحلى بها مدير العمل».

قال لوك:

«حان الوقت للالتحاق بالعمل. هل ما زال الجو مناسباً؟».

رد دايف:

«شيء في الفضاء يدل على ان المطر سيتساقط قبل الغروب».

تذكرت كيم دروس الجغرافيا التي تعلمتها في المدرسة وتساءلت ما اذا كان الناس في هذه البقعة من العالم تعودوا ان يعملوا تحت المطر. واذا لم تخنها ذاكرتها، فقد يصل معدل سقوط الامطار الى ثلاثة امتار ونصف متر في السنة، وخاصة من شهر ايار (مايو) الى شهر تشرين اول (اكتوبر). وكما قال كريس المناخ ليس مناسباً للعيش والعمل.

قال دايف لكيم بعدما ذهب لوك:

«اتريدين ان تشربي شيئاً ما».

www.liilas.com/vb3

«عصير الليمون الأخضر مع بعض الثلج يا سيد نلسون».

قال لها:

«نادي دايف، من فضلك».

نادى الخادم وطلب منه ان يحضر المشروب، ثم تناول كرسياً، جلس فيه وراح يتأمل كيم بنظرات معبرة.

«كيف كانت ردة فعل اهلك عندما عرفوا انك ستسافرين وحدك؟».

«ليس لدي اهل. منذ ان كنت في الثامنة عشرة وانا وحيدة».

«ما عدا ادامس».

«ما عدا ادامس، لمدة سنة واحدة. نعم. افضل الا اتكلم في هذا الموضوع».

«اعتقدت انك تريدين ان تفتحي قلبك».

اجابت بسرعة وحدة:

«ليس لك».

لكنها ندمت، لأن الرجل الذي لم تفهمه يبدو وكأنه يفعل المستحيل ليجعلها تفهم انه انسان. أليس في امكانها ان تتحرر من وطأة الماضي وتعيش الحاضر؟

«اعني بما قلته انك قد تدخلت في هذه القضية من قريب، فلا يمكنك ان تكون موضوعياً في هذا الخصوص. واعتقد انه ليس من العدالة تجاه كريس، الوقوف ضده قبل سماع ما لديه ان يقوله هو بالذات».

«عدالة؟ الا تذهبين بعيداً في التسامح والغفران؟».

«انت قلت بنفسك، ان الرجال يتصرفون هنا بطريقة مغايرة لما يمكن ان يتصرفوه في بلادهم. وكريس قد . . .».

«قد يكون الرجل في حاجة الى المرأة من وقت الى اخر، لكنه ليس مضطراً لأن يعيش معها كما يفعل ادامس».

«اي اختيار اعطيته؟ انت الذي طردته من العمل».

«نعم عندما رفض ان يتخلى عن هذه المرأة. في كل حال، علينا ان نأمل الا يكتشفها زوجها».

اغمضت كيم عينيها. ان الوضع متأزم. قالت:

«لا اريد ان اتحدث عن هذا الموضوع، ارجوك».

«تريدين القول إنك ترفضين مجابهة الحقيقة. هل ما تزالين متمسكة بالأمل معتبرة ان هذه القصة ليست سوى كذبة؟ لؤكد لك انها ليست كذبة. واذا ذهبت غداً لرؤيته، فسيكون حزنك اكبر. لماذا لا تنسين الماضي وتعودين الى بلادك؟».

«اسكت! هذا الأمر لا يخصك».

«لا افهمك، لماذا لم تبعثي برسالة تستعلمين فيها عن خطيبك، او انك اسيرة نزواتك وعنادك؟».

لقد فهم حقيقتها، لكن كيم رفضت ان تدعه يرى انه اصاب الهدف. فهي حقاً امرأة عنيفة ومندفعة. لو كان المجال بيدها لكانت تزوجت كريس في اليوم الثالث من تعرفها اليه، لأنها كانت تشعر حينذاك ان سعادتها متعلقة به. اما كريس فكان فطناً وحذراً. اصر على ابقاء الصداقة، ثم الحب، ليزدهر ببطء، واكتشاف الاهتمامات المشتركة، أراد ان يمضي وقتاً معها يتعرف عليها عن قرب قبل ان يكرس حياته لها. ولهذا السبب فهي غير قادرة على تصور وجه كريس الجديد الذي تخلى عن كل شيء من اجل. . . من اجل ماذا؟ الحب! الرغبة! هذا ما ارادت ان تعرفه.

سألت في صوت مشدود:

«من قال لك اني اصدق ما يكتب في الرسائل؟».

«اما زلت تعتقدين ان ما اخبرتك اياه ليس سوى مجرد قصة؟ يا الهي، لقد تعرفت الى نساء. . .».

«لا شك بذلك. لكنه لا يكفي ليجعلك خبيراً بالنساء وقادراً على تفهمهن».

«اذن، سنرى في الغد اذا كان حكمي عليك صحيحاً».

www.liilas.com/vb3

راحت كيم تحدق فيه مطولاً:
«غداً؟».
«سأوصلك بنفسي الى فريتاون وآخذك عند فارسك المتشرد».
راح قلبها ينبض بسرعة مؤلمة:
«لا اريدك ان تأتي معي لأرى كريس. ولا في اي وقت اخر».
«يا للأسف. سأصطحب فطور الصباح الى غرفتك صباح الغد في السادسة والنصف ونغادر في السابعة. اتريدين ان تشربي عصيرك او تأخذيه معك؟».
«الى اين؟».
«الى السرير».
ابتسم بسخرية عندما لاحظ ملامح وجهها تتبدل:
«ليس سريري، بل سريرك. علي الخروج من هنا ولا اريد ان اتركك هنا وحدك حتى اتحاشى مشكلة ثانية».
«ما زالت الساعة الثامنة!».
«خذي بعض المجلات واقرأي».

www.liilas.com/vb3

لم يكن امام كيم سوى الطاعة. فهي لم تتعرف الى دايف نلسون كفاية ولا تنوي ذلك، لكنها فهمت ان آراء الاخرين لا تهمه، كما انه يسخر من عواطف الاخرين عندما يريد ان ينفذ ارادته. وضعت كأسها ونهضت، كل الانظار كانت مصوبة نحوها وهي تعبر الغرفة.
انتظر دايف امام باب الغرفة كأنه يخشى الا تدخلها برضاها. ارادت ان تسأله ساخرة ما اذا كان يريد اقفال الباب بالمفتاح ليسجنها داخل الغرفة، لكنها عدلت اذ ادركت انه ربما يفعل ذلك نكاية بها. ولما دخلت الغرفة، توجهت نحو النافذة. لا شيء تراه من خلال النافذة، ما عدا المصابيح الكهربائية التي تضيء المكان والاشجار السوداء في القمم. اصوات الآليات البعيدة تتحول الى اصوات الطبول داخل الأدغال. انكلترا. الروتين، المكتب، السهرات الطويلة. كل شيء بعيد ملايين الكيلومترات.

انها الآن في افريقيا، في بلاد شاسعة، واسعة، ليس فيها للعواطف قرار ولا استقرار.

٢ – زوجة مؤقتة

بدأ المطر يهطل مدراراً بعد منتصف الليل بقليل، محدثاً ضجة فيها اشياء كثيرة من حلاوة الرعشة. وكيم المتصببة عرقاً ما استطاعت النوم. انها وحيدة في الغرفة الصغيرة، كانت تشعر بالعزلة وبالخوف، برغم ان باب غرفتها مقفل، ويضعها خارج اي خطر. وأخيراً شعرت بالارهاق، فغرقت في نوم مضطرب استمر حتى الفجر.

احضر احد الخدم فطور الصباح في السادسة والنصف. وفي السابعة استعدت للرحيل. كانت اشعة الشمس تجفف الأرض الرطبة، ما زالت ترتدي الملابس نفسها، ولم تكن تشعر بالراحة داخلها. كان دايف بانتظارها في غرفة البيليارد.

صعدت في سيارة الجيب التي اقلعت واتجهت مسرعة نحو المدخل المشبك. كان دايف يرتدي سروالاً فاتح اللون وقميصاً قطنية، وكان يبدو في غير محله امام هذا الديكور الغريب. وشعرت كيم ان دايف سوف يبدو غريباً بالطريقة نفسها في فريتاون. فدايف نلسون ينتمي الى فئة خاصة به.

وكانا كلما اقتربا من المدينة، تشعر كيم بالأسف لأنها لم تسأله ببساطة ان يوصلها الى فندقها، وتوهمه بأنها ستعود الى انكلترا في اقرب فرصة. انما كانت متأكدة تماماً انه يصر على البقاء معها حتى ترى كريس، فقط من اجل ان يحقق الانتصار المرجو. لكنها سرعان ما لامت نفسها. فهي لم تر كريس بعد ولم تسمع روايته.

بدت المسافة اقصر بكثير في سيارة دايف مما كانت عليه في سيارة التاكسي. فقد اجتازت السيارة الطرقات القاحلة ثم نزلت نحو سهل مزروع بأشجار النخيل. ومرت من وقت الى اخر في القرى المبنية في ظلال اشجار المانغو. وفي كل قرية كانت تلاحظ بناية صغيرة مبنية من حجارة القرميد الوردية اللون، والنوافذ الحمراء والزرقاء.

المدينة رائعة والطرقات مزدحمة والرطوبة خانقة. واخيراً وجد دايف مكاناً ليوقف سيارته في شارع صغير قرب النهر، حيث الأبنية متصلة بعضها بالبعض الاخر، والطوابق العالية ملتصقة تماماً.

نزلت كيم وقدماها مترنحتان. انها حزينة لأنها اصرت على المجيء ولم تستمع الى نصيحته. مجموعة من الأولاد يلعبون في الشارع راحوا يتأملون دايف وكيم في فضول عندما اتجها نحو احد المنازل. دفع دايف الباب بقدمه دون ان يطرقه، ودعاها للدخول في ممر معتم وفي جو تعبق فيه رائحة التوابل الحارة.

ظهرت فجأة امرأة شابة في زاوية البهو وراحت تتأملها، واضعة معصميها على وركيها. انها في حوالى الخامسة والعشرين من العمر، ذات جمال هندي مميز لدى المواليد الخليط، عيناها لوزيتان، وفي

www.liilas.com/vb3

اذنيها حلق ذهبي وفي معصميها سلاسل ذهبية ايضاً، وعلى خصرها زنار يظهر نحافتها ويلف فستاناً في لون الشعلة.

سألت في لغة انكليزية وهي ترمق دايف بنظرة صاعقة:

«ماذا تريد ان تفعل هنا هذه المرة ايضاً؟ ولماذا تجلب هذه المرأة معك؟».

قال دايف من دون ان يجيب على اسئلتها:

«اين هو؟».

صرخت بحدة وخشونة:

«ليس هنا. هل جئت لتسبب لكريس المشاكل. كلما اتيت، تسبب له المشاكل!».

اجابها دايف وهو يقترب منها:

«اين هو؟ فوق؟».

«لن تصعد اليه! انه لا يريد رؤيتك!».

وتسمرت امامه وهي تسد عليه الطريق في آخر الدرج.

«لست في حاجة الى ان أراه، لكن السيدة هي التي تصر على رؤيته. هل تنادينه ام اصعد اليه؟».

ارتفع صوت من الطابق الأعلى:

«ماي؟ ما هذا؟ من هنا؟».

«هذا انا دايف نلسون. جئت بخطيبتك معي. هل تنزل او تفضل ان اصعد معها؟».

كانت كيم جامدة، لا تتحرك، متكئة على الجدار القذر. انها تلوم دايف لأنه اعلن عن وجودها، وتلوم نفسها لأنها اصرت على المجيء. انها تنظر الى ما يجري في قرف وخوف: ظهر رجل في اعلى السلم. آخر مرة رأته كان كريس يرتدي بزة انيقة. والرجل الذي تراه الآن يختلف تماماً عن خطيبها، يبدو وكأنه نام في ثيابه. كان سرواله مدعوكاً، وقميصه مفتوحاً حتى الخصر، وشعره الاشقر طويلاً جداً، وكانت عيناه الزرقاوان وكأنها عينا ارنب هارب من

صياده.

قالت كيم بصوت مخنوق:

«صباح الخير، يا كريس. اني... اني آسفة لأنني جئت فجأة».

قال دايف متمتماً بقرف:

«سوف انتظر في السيارة».

وبعد ذهاب دايف، اصبح الصمت مزعجاً. اخيراً اشار كريس بحركة غاضبة الى الباب وقال:

«من الأفضل ان تدخلي».

احتجت ماي وهي تسرع لتسد الباب، وقالت صارخة:

«لا! لن تدخل. قل لها ان تذهب يا كريس. قل لها، اتسمعني؟».

اجابها بلهجة لطيفة:

«لا تقلقي. كل شيء على ما يرام».

ثم التفت الى كيم وتنهد:

«لماذا جئت؟ لقد كتبت لك الا تأتي».

«لماذا جئت الى هنا؟ الم تكن تملك الشجاعة لتكتب الي وتحدثني عن احوالك وعن كل هذا؟ لماذا يا كريس؟».

«لأني جبان. كنت آمل ان تفهمي اني اريد ان الغي الخطبة عندما قررت عدم الكتابة. لم اكن اتوقع ابداً رؤيتك هنا».

«انا لا افهمك. الا نستطيع التحدث على انفراد؟».

«الكلام لن يفيد. فأنا لن اعود اليك. آسف لأن الأمور تطورت هكذا، لكني عاجز عن تبديل الواقع. هنا احصل على كل ما اريد».

ادارت كيم نظرها كي لا ترى الشماتة في عيني ماي. وبدأ الألم ينخر قلبها وقالت:

«ومستقبلك؟ ماذا ستفعل عندما تفلس؟».

«الأمور مرهونة بأوقاتها. لقد ربحت اموالاً كثيرة خلال السنتين الاخيرتين».

www.liilas.com/vb3

تساءلت كيم ما اذا كانت سقطت في الخديعة من زمان. . . هل كان كاذباً منذ البداية. انها ترفض ان تجد ذلك فيه. في كل حال، مهما حدث، لا اهمية لذلك بعد الآن. لم تجد اي سبب لأطالة المقابلة، فقالت فجأة:

«حسناً. سوف اذهب، اذا كنت تريد ذلك».

«هذا افضل وارجوك الا تقلقي عليّ».

«كلا. وداعاً يا كريس».

كان دايف ينظر اليها وهي تجتاز الطريق وتصعد الى السيارة. حافظ على برودة اعصابه وسألها:

«والآن، الى اين نذهب؟».

هزت كيم رأسها:

«الى الفندق. هل تعتقد انهم اجروا غرفتي عندما اكتشفوا انني لم اعد البارحة؟».

«هذا ممكن. سوف نرى. هناك فنادق اخرى».

اقلع بسيارته وما ان ابتعدا عن الشارع حتى سألها:

«هل جئت بالطائرة او بالباخرة؟».

«في الطائرة».

«يمكنك ان ترحلي في الغد. ولا اريدك ان تتأخري يوماً اخر».

لم ترد. فتطلع اليها بتمعن وتغيرت ملامحه:

«تملكين بطاقة العودة، اليس كذلك؟».

هزت رأسها من دون ان تنظر اليه.

«كان معي المال الكافي لشراء بطاقة للذهاب فقط. ان الرحلة في الطائرة باهظة الثمن، كما تعرف».

«اسمحي لي ان اسألك، ماذا تنوين فعله الآن؟».

«لا اعرف. لم يتسن لي الوقت كي افكر بذلك».

«تريدين ان تقولي انك ذهبت هكذا، في المجهول، وهدفك الوحيد ان تجدي الرجل الذي تحبين؟ انت حقاً امرأة غريبة، يا

كيمبرلي فريمان!».

«نعم. انني كذلك!».

ارادت كيم ان تتكلم بنبرة ناعمة، لكن صوتها انقطع وشعرت بالدموع تحرق عينيها. ونظر اليها دايف في حزن كأنه يحاول ان يفتح لها ممراً بين الماضي والحاضر قبل ان يدخل السيارة في ممر ضيق بين البنايتين ويتوقف في آخر الطريق.

«حسناً. حاولي ان تتغلبي على حزنك».

وبدون ان تعرف كيف حصل ذلك وجدت كيم ان رأسها متكىء الى كتف دايف، فتخلصت من كل الضغوط التي كانت تحاول كبتها في الأسابيع الماضية وراحت تبكي وتنتحب. عندما استعادت وعيها وعرفت ما فعلت، لم تشعر بأنها في حاجة الى اليقظة. كانت ذراعه حول كتفيها كأنها درع يحرسها من العالم، ودعامة ضد اي عذاب جديد.

قال لها:

«ما دمت بعلا لابنها المعذبة، فان خوفك سراب ومأساتك خرافة!».

ساعدها صوته على الهدوء بسرعة. فانتفضت وقالت في صوت ناعم:

«المعذرة. لا اعرف ما جرى لي».

«دعينا ننسق الوضع الحالي. كم تحملين من المال؟».

«حوال عشرين جنيهاً استرلينياً».

«لا تستطيعين الذهاب بعيداً بهذا المبلغ».

«يمكنني ان اجد عملاً!».

«ماذا يمكنك ان تعملي؟».

«لا اعرف. سكرتيرة، من دون شك».

«يبدو انك صممت مسبقاً كل هذا! هل تعتقدين ان الحصول على وظيفة شيء سهل للغاية؟».

www.liilas.com/vb3

«ربما لا. ارجوك الا تهتم للأمر. كل ما اريده ان توصلني الى حيث اريد».

ولفترة طويلة ظل يحدق فيها بنظراته الماهرة المقدرة للعواقب.

«هل انت متأكدة ان هذا ما تريدينه؟».

اجابت:

«هنا او هناك. يجب علي ان اسكن في مكان ما وابحث عن عمل».

«صحيح».

وتساءلت كيم لماذا طرح عليها هذا السؤال غير الضروري. لا شيء يمكن ان تفعله الا العودة الى الفندق، في الوقت الحاضر، حتى وإن كان ما تملكه يكفيها فقط اياماً قليلة اذا لم تجد عملاً ما.

كان صاحب الفندق مهذباً وصريحاً. وبما انها لم تعد يوم امس ظن انها لم تعد في حاجة الى الغرفة، فأجرها لشخص اخر.

قرأت كيم الفاتورة وقررت عدم التوقف لحظة واحدة: اسبوع اخر في هذا الفندق وتصبح من دون فلس.

سألها دايف عندما اصبحا خارج الفندق:

«هل نبحث عن فندق آخر؟».

«نعم، من دون شك... هل تعرف فندقاً ارخص من هذا؟».

«بالطبع. لكنني لا استطيع ترك امرأة بيضاء وحدها هناك».

«ليس لدي اي اختيار آخر».

«اعرف. ولكنني الآن ظمآن ويجب ان احتسي شراباً قبل اتخاذ اي قرار».

هزت رأسها وقالت:

«لا اريد ان اشرب شيئاً، شكراً. اذا لم تدلني الى فندق معقول، فسأجد واحداً بنفسي. الى اللقاء، يا سيد نلسون. اشكرك لأنك اوصلتني الى المدينة».

تمتم وهو يأخذ منها حقيبتها:

«تمهلي! هيا، اصعدي الى السيارة».

اطاعت كيم، من دون مناقشة. ان الكبرياء شيء جميل، لكن، في هذا الوقت بالذات، هي بحاجة الى المساعدة. واعترفت بأنها ستشعر بالوحدة الغريبة عندما يتركها. وبرغم عيوبه، فإن وجوده معها يوحي لها بالأمان وبعض الاستقرار.

سألته بعد فترة:

«اين يقع الفندق الذي تفكر فيه؟».

«اي فندق؟ قلت لك اننا سوف نشرب كأساً».

«قلت لك انني لا اريد ان اشرب شيئاً! اوقف السيارة ودعني انزل! سوف اجد فندقاً بنفسي!».

«لا، لن تستطيعي. في كل حال لدي اقتراح اريد ان اعرضه عليك».

«اقتراح؟ اتريد ان تقول انك وجدت عملاً لي».

قال وهو يلقي اليها نظرة خاطفة:

«ربما. هل تعرفين شيئاً عن المحاسبة؟».

«درست المحاسبة عندما كنت آخذ دروساً في السكريتاريا».

«هذا عظيم».

توقف امام منزل قديم، بعيد بعض الشيء عن الطريق. وفي الحديقة الصغيرة اشجار النخيل وشرفة مبنية بألواح الخشب المنخورة، في ارضها طاولات وكراسي. ووراء احدى الطاولات يجلس بحاران سويديان. فرحا عندما شاهدا كيم تنزل من سيارة الجيب، لكن املهما خاب عندما نزل دايف لاحقاً بها.

قال وهو يختار طاولة قريبة من ناحية الطريق:

«هنا نستطيع ان نراقب حقيبتك عن كثب. النشالون كثيرون».

جاء خادم يرتدي قميصاً وسروالاً قصيراً. طلب منه دايف بعض العصير ثم جلس الى كرسي قرب كيم وعاد ليقول:

«نحن في حاجة الى موظف في مكتب المحاسبة».

www.liilas.com/vb3

اضطربت كيم وراحت تحدق فيه ملياً:

«اتعني في المنجم؟».

«طبعا. بعد خمسة اسابيع، سأبدأ اجازتي السنوية. ويمكنك ان تحافظي على مركزك حتى ذلك الوقت، كما ان المعاش محترم للغاية».

«آه. فهمت. بما اني موظفة لدى الشركة، فإن ذلك يخولني ان احصل على تخفيض في سعر بطاقة العودة، اليس كذلك؟».

«هذا ممكن. لكني اشك في ان يكون بوسعك ان تربحي المال الكافي للبطاقة المخفضة. الوظيفة فقط، حتى تتمكني من القيام بعمل ما، ما دمت مضطرة الى البقاء هنا. واذا قبلت العودة الى انكلترا معي، فستكون بطاقة السفر مجانية».

عبست كيم قليلاً وقالت:

«لا ارى كيف يكون ذلك ممكناً!».

اجابها ببساطة:

«لن تجدي اية صعوبة اذا انتميت الى عائلة نلسون».

ابتسم بسخرية وهو يرى وجهها المذعور وقال:

«تدبير مؤقت، بالطبع. ومتى نصل الى انكلترا، نصحح اوضاعنا. واذا قمنا الآن بالاجراءات القانونية، فإننا نتحاشى مشاكل عديدة».

شعرت كيم بالدوار. كيف تتزوج من رجل لم تتعرف اليه الا منذ يوم واحد؟ انها فكرة رائعة! ان تصبح زوجة دايف نلسون الشرعية فتتفادى المشاكل مع السلطات، وعملها في المنجم يصبح مؤكداً. كما انه لن يكون زواجاً حقيقياً. فهو يقترح عليها وسيلة لاخراجها من هذا المأزق الذي وجدت نفسها فيه من جراء تهورها واندفاعها. لا شك انه يشعر ببعض المسؤولية تجاهها. وهذا يعني انه لا يجوز الحكم على الآخرين من الانطباع الأول.

«لا . . . لا اعرف ماذا اقول».

«هل تتصورين حلاً افضل من هذا؟».

www.liilas.com/vb3

«كلا. لا ارى حلاً اخر. هذا سيساعدني على العودة الى بلدي بسرعة ومعي بعض المال. . .».

توقفت فجأة والتقت عيناها بعينيه، فأحنت رأسها تحدق في الأرض.

«لا أعرف تماماً لماذا تحاول ان تنشلني من الورطة التي انا فيها. فاننا لا نعرف بعضنا تماماً».

«نحن بريطانيان. الا يكفي هذا؟ لنفترض أني لا احب ان اترك ابنة بلدي تتعرض للمشاكل. . . اذن، هل اتفقنا؟».

رفعت يديها ثم تركتهما تسقطان على ركبتيها وقالت:

«كما قلت. ليس من حل افضل. و. . . متى تفكر. . .؟ في اي يوم. . .؟».

«لماذا لا نعقد زواجنا اليوم بالذات؟».

«اليوم!».

«طبعاً. هل هذا يخيفك؟».

قالت وهي غير متأكدة تماماً من انها تقول الحقيقة:

«لا. لا. طبعاً لا».

اليوم! كان القرار سريعاً، بحيث لم يتح لها المجال للتفكير. لكن، أليس هذا افضل؟ الظروف تفرض ذلك. وما نفع الانتظار؟ كذلك من الأفضل ان يكون بجانبها انسان تعتمد عليه.

جاء الخادم مع العصير. وبصورة غريزية، رفعت كيم كأسها وابتسمت.

«من الآن فصاعداً لن ارتكب الغلطة نفسها واحكم على المرء بهذه القسوة».

لمعت عيناه الرماديتان وابتسم وقال:

«اشربي. لدينا اشياء كثيرة يجب ان ننجزها».

خيل الى كيم ان كل شيء يحدث في الحلم. خرجت من المقهى مع دايف الى الجهة الاخرى من المدينة. أوقف السيارة امام مبنى

كبير، له شكل رسمي، في احد الشوارع المزدحمة، ترك كيم وحدها بضع دقائق. ثم وجدت نفسها معه في غرفة صغيرة، مع اشخاص اخرين. سمعت كلمات عديدة وشاهدت المستندات المختومة. فكانت تردد ما يهمس دايف لها، من دون ان تفهم الكلمات التي تلفظها وكانت تبتسم للرجل الذي كان يخاطبها، ووجدت نفسها فجأة في الشارع من دون ان تعرف كيف حدث ذلك.

قال لها بلا مبالاة:

«سنتناول طعام الغداء. ثم نعود فوراً حتى نصل قبل منتصف الليل».

ذهبا الى مطعم تفوح منه رائحة التوابل الحارة. نادراً ما تكلما. فلم تجد كيم ما تقوله. كانت في حاجة الى حمام وتغيير ملابسها، لكن دايف لم يكن يعي اهمية ذلك بالنسبة اليها. فالحرارة والرطوبة لا تزعجانه.

ومن جديد داخل السيارة، استرخت في مقعدها وتهيأ لها انها منفصلة تماماً عن الواقع. قبل اربع ساعات وصلا الى هذه المدينة، يجهل كل منهما الآخر. والآن اصبح الرجل الجالس قربها زوجها. القت نظرة الى وجهه، ثم الى يديه المتمسكتين بالمقود وشعرت بأنها فريسة ذعر مفاجىء. راحت تردد ان لا داعي لأن تقلق، او تخاف. منذ البداية، افهمها دايف انها ليست من طرازه.

الليلة التعبة، حوادث الصباح، الحرارة، كلها بدأت تفعل فعلها. وما ان قطعت السيارة بعض الكيلومترات حتى ثقلت عيناها. والجلبة التي يحدثها الجيب في الطرقات المحفرة، لم تمنعها من النوم العميق. وعندما فتحت عينيها، كان الظلام قد حل بعد الغسق. وشعرت بالخدر في كل جسمها. فانتصبت وحكّت رقبتها ونظرت الى دايف وارتعدت عندما استعادت وعيها.

«اين نحن؟».

«على بعد خمسة عشر كيلومتراً من المنجم. لقد استغرقت في

سبات عميق».

«نعم...».

لم تجد شيئاً اخر تقوله. خمسة عشر كيلومتراً وتصل الى المنجم، ولحظة بعد لحظة تصغر المسافة. راحت تحاول تصور وجه لوك عندما يصلان الى النادي، وكيف ستكون ردة فعل الرجال عندما يعلمون بزواجهما. كل شيء يحصل بسرعة في هذا المناخ الاستوائي. وتساءلت ما اذا كان دايف سيخبرهم ان هذا الزواج ليس سوى زواج مصلحة، ويطلعهم على سبب ذلك، او ربما سيقرر ان شؤونه يجب الا يتدخل فيها احد. في كل حال، فلن يشكوا بأية علاقة بينهما ما دام سيكون لكل منهما غرفة منفصلة. لا شك ان دايف يسكن النادي. لكنها لا تعتقد ان الجميع يسكنون النادي، لأنه لا يتسع للجميع.

قالت اخيراً:

«سمعتك امس تتحدث عن الحمامات. وفي الوقت الحاضر، احتاج الى حمام بعد هذا النهار الحافل بالحوادث غير العادية».

«كيف؟ الم يدلك لوك الى الحمامات؟ كيف اغتسلت اذن؟».

«استعملت مغسلة الغرفة، قدر المستطاع. هل تسكن في النادي؟».

«كلا. كل المهندسين الذين يعملون في المنجم لهم بيوتهم، وهي تقع في فرجة الغابة، وراء النادي. انها حقاً قريبة. ووراء كل بيت هناك حمام، من الطراز القديم، لكن لا بأس به. اما اليوم فمن الأفضل ان تستعملي حمام النادي. في بيتي، نحتاج الى وقت طويل لتسخين المياه».

انقضى النهار وكأنه حلم في اليقظة. وبرز مدخل المنجم المسيج من بين العتمة على ضوء المصابيح الكهربائية التي تضيء المكان. اشار لهما الحارس بالدخول، فأخذ دايف طريق النادي. توقفا اخيراً امام البناية المطلية بالكلس، واخذ دايف من صندوق السيارة حقيبة

كيم.

ولدى دخولها، عم الصمت. كل النظرات تحدق فيها، وكل الوجوه تعبر عن الدهشة والاستغراب. ودايف لم يعر لذلك انتباهاً. اخذ كيم الى الممر. وخلفهما عادت الأحاديث تدور، وسمعت كيم ضحكة عريضة. فاحمر وجهها وانتظرت بينما كان دايف يفتح باب غرفة تقع في اخر الممر، فسألته اخيراً في صوت غير واثق:

«ماذا ستقول لهم؟».

استدار لينظر اليها، ويده على مسكة الباب:

«الحقيقة. ماذا تريدين ان اقول غير ذلك؟».

ومن دون ان ينتظر منها جواباً، دفع الباب قائلاً:

«اقفلي الباب عندما اخرج، كيلا يزعجك احد. سأهتم بالعشاء. وبعدما تأخذين حمامك وتغيرين ملابسك، وافيني الى غرفة الطعام حيث اكون في انتظارك. وقبل ان نذهب الى البيت، نأخذ الحقيبة معنا».

اخذت كيم الحقيبة معها الى غرفة الحمام واقفلت الباب وراءها بالمفتاح. ووضعت حقيبتها على مقعد قرب الحائط. وبين ملابسها القليلة اختارت فستاناً من القطن المخطط بالأبيض والوردي. ووضعته على تعليقة ملابس كي يستعيد وضعه.

وبعدما اخذت حماماً دام اكثر من ربع ساعة، شعرت بالانتعاش، اعادت الحقيبة الى الغرفة وتوجهت الى غرفة الطعام. ولدى وصولها توقفت فجأة طرطقة الملاعق والسكاكين. اطلقت كيم ابتسامة غامضة وظلت تنظر الى دايف وهي متوجهة نحو طاولته، واعية تماماً انه يتفحصها ويرفع حاجباً بسخرية.

قال لها ما ان جلست تجاهه:

«كنتِ اسرع مما كنتُ اتوقع، لقد طلبت لك عصير الحامض. هل هذا ما تفضلين؟».

«نعم».

اخذت الكأس واحتست جرعة وشعرت بشيء من المرارة، لكنها رفضت ان تطلب بعض السكر. وهمست:

«افضل لو انهم يكفون عن النظر الي بهذا الشكل. كأني وحش في الغابة».

«ينظرون اليك لا لأنك وحش، بل لأنك امرأة بكل معنى الكلمة، وامرأة بيضاء. هذا نادر هنا. ان آخر امرأة بيضاء اتت الى النادي كانت عالمة نفس من الجنسية الالمانية، عريضة ودميمة، ولم نكن نخشى عليها من احد. ارجوك الا تنتبهي لهم. فلن يبتعدوا عنك، لكنهم سيتعودون على رؤيتك مع الوقت».

«هل الجميع يعرفون؟».

«يعرفون ماذا؟»

«ان... انت تعرف!».

عضت على شفتها وهي ترى في عينيه ملامح السخرية. هز كتفيه:

«سيعرفون عاجلاً ام آجلاً. لست في حاجة الى ان اصعد الى الطاولة واطلعهم على زواجنا بصورة رسمية».

انتظرت كيم ان يضع الخادم صحن الحساء امامها ويذهب قبل ان تقول في خجل:

«هل تعتقد انهم سيصدقون؟ اني لا احمل في اصبعي خاتم الزواج».

«وماذا يعني ان يضع المرء خاتماً في اصبعه. هل انت منزعجة لأنك لا تضعين محبساً في اصبعك؟».

«هذه هي العادة، على ما اعتقد!».

«لم افكر بذلك. سأحاول ان ارى ما يمكن فعله في هذا الشأن. الا تأكلين؟ اعرف ان الطعام هنا ليس ما نأكله في المطاعم الفخمة، لكن لا بأس به».

تناولت كيم ملعقتها وابتسمت قليلاً قائلة:

www.liilas.com/vb3

«لم ازر مرة المطاعم الفخمة. ونادراً ما كنت اتردد على المقاهي الرخيصة. هل تعرف مدينة لندن؟».

اجابها بلهجة مترفعة:

«ولدت في لندن».

«آه!».

نظرت اليه، وبما انه لم يعلق، سألته في صوت متردد:

«هل ما زالت عائلتك تسكن هناك؟».

«ليس لي عائلة هناك. ما تبقى لي من اقارب هي عمة تعيش في اسكس. ما من شك انها لا تفكر بي. بما اننا بدأنا الحديث العائلي، هل لك ان تخبريني عن عائلتك؟».

«توفي ابي عندما كنت صغيرة. وتوفيت امي منذ بضع سنوات. وانا ابنة وحيدة، لا اخ ولا اخت. اعتقد ان لي اقارب في شمال انكلترا، لكن لا اعرف احداً منهم. كنا نملك مزرعة صغيرة في منطقة كنت. لكننا اضطررنا الى بيعها بعد وفاة ابي. وعادت امي الى العمل، في المدينة وادخلتني دور الحضانة . . . المدرسة. الى آخره. لا شيء مما اقوله يمكن ان يهمك».

هز دايف رأسه قائلاً:

«اني لا اؤمن بالذكريات. هذا كل شيء. الماضي مضى. المهم هو المستقبل».

كانت الساعة الثامنة عندما انتهيا من طعام العشاء. ولما عرض عليها دايف فنجان قهوة، رفضت. فلا تريد ان تبقى هنا مدة اطول، خوفاً من مجابهة كل هؤلاء الرجال، ما دام الزواج لم يعلن بعد. وشعرت بنظرات الرجال تلاحقها عندما غادرا المكان وقالت لنفسها، في الوقت الحاضر، لا يهم ما يمكنهم ان يفكروا.

ذهب دايف الى الغرفة واخذ حقيبة كيم ثم توجها معاً الى السيارة بعد ان حيا المهندسين في الطريق، من دون اي تعليق. ولما صعدا الى سيارة الجيب، شعرت بطمأنينة. فقد اصبحت بعيدة عن النادي

وعن هؤلاء الرجال، ولم تصدق انها سيتاح لها الآن ان تبقى وحدها، هذا ما تحلم به، وما هي في امس الحاجة اليه.

كما قال دايف، كانت مجموعة منازل المهندسين قائمة في مرجة واسعة داخل الغابة. كانت هناك خمسة منازل صغيرة مبنية من حجر القرميد، امامها شرفة تحيط بالمنزل من ثلاث جهات. بالكاد شاهدت كيم هذه البيوت، لأن دايف اطفأ مصابيح السيارة، فعم الظلام. ساعدها دايف على الدخول بعد ان دلّها الى الطريق. دخلا معاً الى غرفة الجلوس الصغيرة، على احدى طاولاتها مصباح مشتعل يعمل على الغاز. كان الاثاث من خشب التيك والخيزران، وعلى الجدار مكتبتان مليئتان بالكتب.

قال دايف ساخراً:

«ان مسكن الرجل الانكليزي هو قصره. تعالي، سوف آخذك في جولة داخل البيت، برغم ان ليس ثمة شيء مهم لمشاهدته».

في نهاية غرفة الاستقبال باب يطل على ممر قصير فيه ثلاثة ابواب. فتح دايف الباب المواجه وادخل كيم الى غرفة فيها سريران، وخزانة وطاولة.

وراح دايف يشرح لها:

«طلبت من احد رجالي ان يضع سريراً اخر في هذه الغرفة، بينما كنا نتناول العشاء. ان الغرفة غير مرتبة بعض الشيء، لكن الوضع مؤقت والوقت قصير».

شعرت كيم ببعض الخوف وهي تنظر الى المسافة الضئيلة ما بين السريرين وراح قلبها ينبض بسرعة وحلقها يغص. وسألت:

«هل . . . هل تنوي النوم هنا؟».

«طبعاً. اين تريدين ان انام؟ ليس في البيت الا غرفة واحدة».

رفعت نحوه عينين مذعورتين.

«لكن . . . لكن لا يمكنك ان تنام في الغرفة نفسها!».

«لا يمكنني؟ اهكذا تخاطب الزوجة زوجها؟».

راح يتأملها في سخرية، عاضاً على شفتيه. حاولت كيم ان تضبط نفسها وقالت:

«لكن زواجنا يختلف تماماً لقد تزوجتني لتمنع الآخرين من التصور بأن اموراً سيئة تحدث خلال وجودي في المنجم. وقلت انت بنفسك، ان هذا الزواج زواج مصلحة يساعد على تسهيل الأمور المعقدة في الظروف الحاضرة».

«صحيح. هيا، لم تولدي البارحة! هل تفكرين انني سوف اكتفي بالشروط الحاضرة التي تفكرين فيها. لقد اقترحت عليك الزواج لانقذك من ورطتك، لكني لم اقل بأني سوف اتخلى عن كل حقوقي كزوج».

صرخت به:

«لقد خدعتني! جعلتني اعتقد انه حل مؤقت!».

«صحيح ان العرض مؤقت. خمسة اسابيع هنا، ثم العودة الى انكلترا وطلاق سريع. ارجوك، لا تسيئي فهم الأمور ولا تحاولي اللعب على الكلمات. ما دام هذا الزواج حصل فلا مجال لوضع شروط مهما كانت».

تشنج معصما كيم وقالت واسنانها تصطك:

«اذا لمستني فسأقتلك!».

قال بهدوء وهو يبتعد عن الباب:

«ستكون علاقتنا مميزة، من دون شك. انا ذاهب الى مكان العمل حيث اغيب ساعة واحدة، قبل ان اخلد للنوم. وبما انك مصرة على المحافظة على مثلك العليا، ايتها الفتاة الصغيرة، فسأطرق الباب قبل الدخول. الى اللقاء».

بقيت كيم مسمرة مكانها، تحدق في الباب الذي اقفله دايف وراءه. شعرت بالحيرة تنتابها وتكاد تشل تفكيرها. ما العمل؟ كيف تستطيع ان تدافع عن نفسها ضد هذا الرجل الغريب الأطوار؟ لقد تزوجت رجلاً مجهولاً ومرعباً. انه يعني كل كلمة قالها، بكل تأكيد.

وهو ينتظر عندما يعود ان تخضع له، من دون اقامة اي وزن لشعورها وعواطفها، ومن دون الاهتمام بشيء، الا لكونها قانونياً زوجته.

اعتراها فجأة الارتجاف. لا. لا تقدر. لا تريد! لن تخضع له! فاذا كان يرغب فيها، فعليه ان يناضل للحصول عليها. وفي تصميم وعزم، طردت من عقلها ذراعيه القويتين وكتفيه العريضتين. ورفضت الاقتناع بأنه من المستحيل عليها ان تقاومه. ذهبت الى الباب واقفلته بالمفتاح واستندت بظهرها عليه وراحت تتفحص الغرفة. الخزانة ثقيلة. اذا حاولت ازاحتها، تحل كل المشكلة، على الأقل هذه الليلة. وما يجري بعد ذلك، يأتي في وقته.

كانت جالسة في سريرها، في ثيابها، عندما سمعت دايف يدخل الى المنزل. صفق الباب ودخل الى غرفة الجلوس بخطواته العريضة شاهدت كيم مسكة الباب تدور لكن الباب ظل مقفلاً. وساد الصمت طويلاً وبدأت تعتقد انه ذهب. لكن صوت حذاء يضرب الباب فوق القفل، جعلها تنتفض. وراح نبض قلبها يتسارع ورأت الباب ينفتح ويتساقط الخشب المتطاير، وازيحت الخزانة جانباً، وظهر دايف امام عتبة الباب وراح يوبخها.

«يبدو انك لا تتعلمين بسهولة. حان الوقت لتتصرفي كامرأة ناضجة!».

اجابته وقد نسيت غضبها:

«كي يتسنى لك التصرف كحيوان؟ اذا كنت في حاجة الى رفيقة سرير فحسب، فلم تكن مضطراً للزواج كي تحصل عليها!».

وغريزياً توجهت الى الطرف الآخر من السرير، في سرعة بحيث لا يقدر ان يطالها بيديه. فصرخت:

«اذا وضعت اصبعاً واحداً علي، فسأصرخ عالياً حتى يصل صوتي الى فريتاون بالذات!».

قال بصوت خفيض:

«سوف اضع عليك اكثر من اصبع. ويمكنك ان تصرخي قدر

www.liilas.com/vb3

استطاعتك. ماذا تنتظرين؟ فرقة النجاة؟ لقد اتفقنا على صفقة ويجب ان تحترميها!».

قفز الى السرير بقوة ولم يتسن لها الفرار منه. وراحت تتخبط وتضربه بكل قواها غير ان كل هذا لم يجد نفعاً، فأحنت رأسها بسرعة وعضته بشراسة في معصمه. فصرخ من الألم.

وفي تلك اللحظة، انطلق في الخارج صوت صفارة الانذار. فنهض دايف بسرعة، فأبعدت يديها عنه، وللحال تغيرت ملامح وجهه، وقال:

«حادث!».

وبسرعة، وقف وخرج من الغرفة. وصفق الباب وراءه. وبقيت كيم جامدة في السرير!

www.liilas.com/vb3

٣- الهرب الكبير

هدير محرك سيارة الجيب ايقظ كيم من نومها. فانتفضت في سريرها. كان الفجر قد لوّن السماء وبدأ الضوء الخفيف يتسرّب من وراء ستائر الخيزران. حاولت البقاء جالسة عندما سمعت وقع أقدام دايف في الشرفة، ثم فتح الباب.

بدا دايف مرهقاً. كان قميصه مفتوحاً حتى خصره وكمّه ممزقاً. وشعره بلون الرماد من كثرة الغبار، وملامحه تجعله عشر سنوات اكبر مما هو عليه. ظلّ واقفاً امام عتبة الباب فترة قليلة، يتأمل كيم وعلى شفتيه ابتسامة خفيفة ترتجف.

«ما كنت في حاجة لأن تظلّي مستيقظة. يكفي ان يخسر واحد منّا ليلة نوم».

سألته في صوت حازم:

«هل كان حادثاً بالفعل؟».

«انهيار المطر أزاح بقعة ارض، فطمرت ثلاثة رجال. لكننا نجحنا في انقاذهم».

دخل الى غرفة الجلوس وهو يفرك رقبته.

«كل ما اريده الآن، أن آخذ حماماً».

«من دون ماء ساخن؟».

«الماء البارد يكفي في الوقت الحاضر. سآخذ حماماً ساخناً عندما استيقظ من النوم».

تمسكت كيم بمسند المقعد عندما اقترب دايف منها. فقالت:

«هل تريد العودة الى النوم؟ هكذا؟».

أدار وجهه ونظر اليها قائلاً:

«العودة الى النوم؟ لم انم بعد، اذا كانت ذاكرتك جيدة. ولماذا لا تعودين انت الى النوم؟ في الحالة المرهقة التي انا فيها الآن، لا مجال لتقلقي. سأنام على الفور».

قالت في صوت مرتجف:

«دايف. لا يمكننا... لا يمكنك ان تتجاهل هكذا بسهولة ما حدث مساء امس. صحيح اني لم افهم جيداً نواياك. هذه سذاجة من دون شك. فانا انسانة بلهاء. وفي هذه الظروف، اعتقد انك يجب ان تنسى هذا الاتفاق المدبّر. سأعود الى فريتاون. وسأتدبّر العودة الى بلدي».

تغيّرت تعابير دايف بعض الشيء وقال:

«أولاً، لم يحصل شيء مساء امس. الوقت كان عدوي. والاتفاق ما زال قائماً.

قلت لك اني سأعيدك الى انكلترا، وهذا ما أريد أن افعله».

«وبأي ثمن!».

هزّ رأسه قائلاً:

«كنت راضية بالاستفادة مني. ألا يحق لي ان انتظر منك تعويضاً على ذلك؟».

احتجت كيم قائلة:

«لم اكن استفيد من وجودك. ليس صحيحاً ما تلمّح اليه. انت الذي عرض الاقتراح وليس أنا».

«طبعاً. وأنا الذي أفرض الاوامر. ستحاشين المشاكل اذا ارتضيت الوضع الحالي».

قالت له في احتقار:

«وانت كذلك ايضاً، على ما اعتقد!».

ابتسم. ثم قال وهو يضحك لدى رؤيته الاحمرار يعلو وجهها:

«ليس تماماً. خمسة اسابيع، ليست بالوقت الطويل، انها ستمر بسرعة. من الممكن ان احتفظ بك لوقت اطول...».

رفعت كيم ذقنها ولمعت عيناها:

«ستحتفظ بي فقط لوقت قصير، لأني سأجد ولا شك وسيلة لمغادرة هذا المكان، حتى ولو اضطررت لأن امشي المسافة كلها! لن تكون هنا بصورة دائمة!».

«لا، طبعاً. انما عليك ان تتذكري ان فصل الامطار على الابواب. وسيكون حظك كبيراً اذا استطعت البقاء اكثر من عشرين ساعة في الهواء الطلق. ان هناك اكثر من خمسين شخصاً في خدمتي، كلّهم قادرون على ان يساعدوني، اذا اضطررت للبحث عنك...».

توقّف عن الكلام وتنفس الصعداء ثم قال:

«سآخذ حماماً الآن. افعلي ما يحلو لك. لكن لا توقظيني قبل الساعة العاشرة، الا اذا حدث شيء خطير».

لفترة طويلة ظلّت كيم عاجزة عن ان تتحرك من مقعدها. وأخيراً نهضت وراحت تزيح الستائر وتتأمل الارض الحمراء التي تحيط بمجموعة المنازل الواقعة في فرجة الغابة. الاشجار جامدة، مغطاة

www.liilas.com/vb3

بسحابة رطبة وساخنة تبدّدها الشمس متى اشرقت. من هنا، لا يمكن رؤية المنجم، كما انّ التلة القائمة تخفي ضجيج الاشغال. على بعد مئة وخمسين كيلومتراً، وكأنها ألف كيلومتر. حتى ولو توصلت الى سرقة سيارة ما، فلن تستطيع ان تعبر خارج المدخل المشبّك.

شدّت على أسنانها فجأة. انها متأكدة من شيء واحد: عدم افساح المجال امام دايف نلسون ان ينهي ما بدأه معها مساء امس. ستحاول مغادرة هذا المكان والتوجه الى فريتاون، حتى ولو اضطرت الى الاختباء داخل احدى الشاحنات التابعة للمنجم. هناك سيساعدها كريس على العودة الى بلادها. فلن تطلب منه الا أن يقرضها ثمن بطاقة العودة على ان تردّ له المبلغ لدى وصولها الى انكلترا. حتى ولو اضطرت من اجل ذلك ان تتوسل الى مدير المصرف. ولكن ماذا بالنسبة الى زواجها من دايف نلسون الذي هو زواج معترف به في انكلترا؟ يا للأسف. انها مستعدة ان تدفع ثمن تهوّرها وطيشها. هذا قدرها ويجب ان تتعلم ان تكون اكثر اتزاناً.

ضجّة في الممر جعلتها تدير رأسها بقوة. لكنها استرخت عندما رأت رجلاً افريقياً. اي انسان يكون افضل من دايف نلسون بالذات. كان الرجل يرتدي سروالاً وسترة لونها بيج، كما يرتدي الخدم في النادي. توقف عندما رآها، وبدا عليه الذهول. وسرعان ما ظهرت الابتسامة على فمه مظهرة أسنانه الناصعة البياض.

«هل تريد سيدتي تناول فطور الصباح في الحال؟».

«لا، ليس الآن. هل انت من النادي؟».

«أنا باتريك. اعمل هنا في المنزل لحساب المدير دايف نلسون».

قالت محاولة ان تتكلم بشكل طبيعي:

«عظيم. سأتناول الفطور بعد نصف ساعة. هل... هل يمكنني استعمال الحمّام الآن؟».

بدت عليه الحيرة ثم قال:

«ليس هناك ماء ساخن، في الوقت الحاضر، يا سيدتي».

«هذا لا يهم. الماء البارد يكفيني».

ولما توجّهت نحو الباب، تذكّرت فجأة ان حقيبتها ما زالت داخل الغرفة... ودايف نائم هناك. عضّت على شفتيها، وترددت ثم شعرت بنظرات باتريك تحدّق فيها، فاضطرت الى سلوك الممر والتوجه الى غرفة النوم. كان قلبها يدقّ بسرعة وهي تفتح الباب محاولة الا تحدث اية ضجة. فرأت رأس دايف على المخدة في السرير القريب للباب. كان يدير ظهره ويتنفس بانتظام. دخلت الغرفة وأغلقت الباب نصف غلقة. كان دايف ينام على بطنه، من دون غطاء. حتى وهو نائم كان يبدو ذا قوة خارقة.

كانت الحقيبة في الطرف الآخر للغرفة تحت النافذة. حبست كيم انفاسها وتقدّمت على رؤوس اصابعها وتسمّرت مكانها ويدها ممتدة الى الحقيبة، عندما استدار دايف فجأة واطلق زفرة طويلة. انتظرت لتتأكد انه عاد الى النوم قبل ان تجرؤ على الامساك بقبضة الحقيبة والعودة نحو الباب.

وبرغم رغبتها الملحّة في مغادرة الغرفة، فان نظرها كان منجذباً نحو وجهه النائم على الوسادة، وذراعيه الممدودتين. وفهمت للحال ان لا مجال امامها لمقاومة قبضته الصلبة التي حاول استعمالها امس. لولا صفارة الانذار، لما كان في وسعها مقاومة رغبة دايف العنيفة. انه وضع لا يمكنها ان تنكره.

ان الخطر الذي تعرّض له عمال المناجم أمس، هو الذي منعها من الوقوع في حبائله، مثل واحدة من العبيد الذين كانوا يصدّرون بالكميات. ولا يمكنها الآن ان تأمل بنجدة ثانية من هذا النوع. فقرّرت الهرب في اليوم نفسه بأية وسيلة كانت.

كان الحمّام كناية عن ارض صغيرة مسوّرة بالقصب، وراء المنزل. سقفه من القش ويعلوه خزان. هذا الجهاز البسيط يعمل بصورة هائلة مما جعلها تستغرب ذلك. وبعدما اخذت حماماً سريعاً وجففت جسمها وجدت بعض الصعوبة في ارتداء ملابسها في هذا

المكان الضيق. ولما خرجت من الحمّام كانت ترتدي سروالاً من الكتان البيج وقميصاً من اللون نفسه. ثم وضعت فستانها داخل حقيبتها التي تركتها داخل الحمّام، وهي لا تعرف متى تحتاج اليها.

الماء البارد اعاد اليها توازنها. ما حدث حدث. ولا جدوى من الاسف، في الوقت الحاضر، المطلوب منها ان تفكّر في خطة للهرب من هذا المكان، في الحال. وهي تعرف انّ ذلك ليس بالشيء السهل على الاطلاق. لقد اطلعها كريس مرة، في احدى رسائله، على وجود قطار حديدي يصل الى مدينة «بيبل» الواقعة على الضفة الشمالية لنهر سيراليون، وعلى بعد بضعة كيلومترات من فريتاون. لكن بعد الذي شاهدته، لا يمكنها ان تختبىء خلال رحلتها في اي مكان. ويبقى عليها ان تحلّ مشكلة الطريق. وحتى هذه اللحظة فهي عاجزة عن معرفة اي وسيلة نقل يمكن ان تستخدم، لكي تعبر الطريق، او متى سيتاح لها المجال لتحقيق ذلك. وتمنّت لو ان في استطاعتها ان تجد وسيلة انتقال آتية من خارج المنجم. لا بدّ ان شاحنات او آليات تسلّم البضائع من اللحوم والخضار الطازجة للمنجم. لكن ربما لا يحصل ذلك اليوم بالذات، ولا حتى في الغد. لكنها صممت ان ترشو احداً ليؤمن لها الذهاب في حال فشل الخطط التي وضعتها للهرب. واذا وصلت يائسة امام كريس، فسيساعدها من دون شك. وماي يمكنها ان تحتفظ بكريس لنفسها. ان كل ما كانت تشعر به تجاه كريس مات في الامس، داخل هذا الممر القذر.

كان الفطور في انتظار كيم عندما عادت الى غرفة الجلوس. احضر لها باتريك عصير الفاكهة المثلج وخبزاً محمصاً، ثم عاد الى المطبخ ليحضر القهوة الساخنة. أخبرها انه يسكن في القرية المجاورة وراء المرتفعات، وانه يعمل في المنجم منذ طفولته. وقال ان جميع رجال القرية يعملون هنا، راضين بمصيرهم، لأنه لا اعمال اخرى في المنطقة. كان باتريك راضياً بأحواله. لديه زوجة واولاد وهو يربح ما فيه الكفاية ليرعاهم ويؤمن لهم رفاهيتهم. ارادت ان تسأله ماذا

تعني الرفاهية لرجل افريقي، لكنّها عدلت حتى لا تحرجه.

سألته من دون ان تبدي اهتماماً بأجوبته، عن كيفية الحصول على المؤن، وفهمت منه ان تسليم البضاعة يحصل نادراً وفي اوقات غير محددة. وآخر تسليم حصل يوم وصولها. اما بالنسبة الى البريد، فانه يسلّم مرّة واحدة في الاسبوع بواسطة طائرة الهيليكوبتر. ويحصل ذلك اليوم بالذات. ولما سمعت ذلك، راحت تصغي بتمعن. لا شك انه من الصعب محاولة الهرب سراً داخل هيليكوبتر، لكن ربما تتوصّل الى اقناع الطيار بأخذها. وهكذا تكون قد حلّت نصف مشكلتها دفعة واحدة. رحلة سريعة وتصل الى كريس قبل ان يتمكن دايف من اللحاق بها. . .

كانت تحتسي فنجان قهوتها الثاني عندما سمعت خطوات تتسلق الدرجات الثلاث قبل الوصول الى شرفة المنزل، فتوقّف لوك على عتبة الباب ونظر حوله ثم قال لكيم:

«صباح الخير. هل دايف هنا؟».

«انه نائم. طلب مني الّا اوقظه قبل الساعة العاشرة. هل هناك شيء عاجل، يا لوك؟».

«علمت الآن ان احد الرجال الذين انتشلناهم من تحت الجرافة، مات منذ نصف ساعة. ويقول الطبيب انه توفي بسبب نزيف داخلي. لم يكن في وسعه ان يفعل شيئاً لأنقاذه».

همست كيم:

«اني آسفة وحزينة. هل ترك وراءه زوجة واطفالاً؟».

«نعم. سوف نتدبّر امرهم. انه واحد من اهم السائقين عندنا. سيكون الخبر صاعقاً على دايف».

«ان يخسر سائقاً؟».

تفحّص لوك كيم لفترة قبل ان يجيب:

«اكثر من ذلك. هل لا يزال هناك قهوة؟».

«انها باردة. سأطلب من باتريك ان يصنع المزيد منها».

«سأطلب منه ذلك بنفسي».
دفع الباب وصرخ بصوت عال داخل الممر:
«باتريك! قهوة!».
وعندما التفت وراءه، فوجىء لوك بتعابير وجه كيم، فابتسم لها وقال:
«لا تخافي، صرختي لن توقظ دايف. في مهنتنا، يتعلم الواحد ان ينام وسط كل أنواع الضجيج، الا عند اطلاق صفارة الانذار. يبدو انك ستعملين في مكتب المحاسبة؟».
أجابت في صوت متردد:
«نعم. مبدئياً».
اخذت فنجان قهوتها واحتست جرعة. ثم وضعت الفنجان على الطاولة وقامت:
«لماذا لا تقول ما يدور في خلدك، يا لوك؟».
«ان اقول ماذا؟».
«بماذا تفكر».
«لا شيء هناك لأقوله... زواج كهذا لا يهم الا دايف وانت. انه سيسهر عليك بصورة جيدة».
بدا من حديث لوك انه لا يريد التدخّل في شؤونها وانه لن يجرؤ على مساعدتها على الهرب، وهي لا يمكنها ان تلومه. ليس هناك انسان عاقل يجرؤ على مقاومة دايف نلسون.
احضر باتريك القهوة وفنجاناً آخر. فسكبت كيم القهوة في فنجان لوك وقدّمت له السكر وانتظرت حتى ينتهي من احتساء القهوة قبل ان تقول:
«ألست بحاجة الى ان ترتاح انت كذلك، بعد قضاء الليل كله واقفاً؟ لا بدّ انّ الجميع امضوا اوقاتاً صعبة هذه الليلة».
«ان دايف هو الذي تولّى عملية الانقاذ. لو انقلبت الجرافة بكاملها، لمات اربعة رجال، لقد نزل تحت الجرافة مع بعض الركائز

وأسندها حتى توصلنا الى سحب الرجال. وانسحب هو في الوقت المناسب. لو تأخر دقيقة واحدة لكان... في كل حال لقد تمت ساعة واحدة قبل ان يطلعنا الدكتور سلبي على النبأ المؤسف. عندها ما عدت استطيع العودة الى النوم. واعتقد انّ دايف سيشعر بالشيء نفسه عندما يعرف النبأ».
«عندما أعرف أي نبأ؟».
قال هذا الكلام دايف وهو واقف امام العتبة.
كان يرتدي مئزر حمّام بالياً وصندلاً من الجلد. كان شعره مشعثاً، ولحيته النامية تجعل وجهه داكناً، لكن نظرات عينيه الرماديتين بقيتا حادّتين. عاد يسأل:
«ماذا يجب ان اعرف؟».
اخبره لوك في كلمات قصيرة ما جرى. ولم تلاحظ كيم التي كانت تراقبه اي تغيير في تعابير وجهه. قال ببساطة:
«لا حظّ له! هل لا تزال القهوة ساخنة؟».
صبّ لنفسه، ثم نظر الى كيم وقال لها بصوت قاس:
«لا قيمة للحياة هنا. سوف تعتادين ذلك».
صرخت في حدّة:
«طبعاً لا!».
تدخّل لوك بحماس:
«اني آسف لأيقاظك، يا دايف. لقد تصورت ان لا شيء يمكنه ازعاجك، على الاقل، ليس قبل ساعتين».
«استيقظت قبل الآن. لا اعرف لماذا. حدس، ربما. هل تريد المزيد من القهوة؟».
نهض لوك:
«لا، شكراً. سأنصرف في الحال. الى اللقاء قريباً».
«طبعاً».
جلس دايف واضعاً كوعيه على الطاولة. ولما خرج لوك، قال في

www.hilas.com/vb3

لاميالاة:

«الظاهر انك تتفقين مع لوك».

«معه اعرف على الاقل اين انا. ان لوك يقول ما يفكر فيه».

«وأنا، هل خدعتك؟ لم تكن غلطتي اذا كنت امضيت معظم حياتك اسيرة للأفكار الوهمية. ان اللياقة التي تتوقّعينها وتفكّرين فيها لا وجود لها في عصرنا الحاضر».

ردّت عليه في صوت مرتجف:

«كل ما أطلبه، هو سلوك أكثر تمدّناً. انك لا تتنازل وترتدي ثياباً محترمة قبل ان تجلس الى المائدة».

ابتسم بسخرية وردّ:

«لم احلق ذقني ايضاً، اذا لاحظت ذلك».

نهضت للحال وراحت تنظر اليه بقرف وتقول:

«انك لا شك تفهم اني افضل الجلوس في الشرفة».

همس دايف بصوت ناعم جعل كيم تجمد مكانها:

«كيم. عودي الى هنا».

تمنّعت من الالتفات وراءها، لكن قلبها ظلّ ينبض بقوة:

«قلت لك انني خارجة الى الشرفة».

فضّلت كيم عدم التفكير بما يمكن ان يحدث لو لم يحضر باتريك في تلك اللحظة بالذات ومعه طعام الفطور. ولما أدارت رأسها، كان دايف ينحني فوق صحنه، لكن عينيه الرماديتين لا تزالان تلمعان.

من الشرفة تبدو المنازل الاخرى في فرجة الغابة وكأنها خالية ومهجورة. فهي تتموّج في سحابة الحرارة التي تتصاعد من الارض. وحتى في ظل السقف الذي يعلو الشرفة، بقي المناخ يدعو الى الاسترخاء.

ظلّت كيم جالسة في الوضع ذاته، بعد ساعة، عندما لحق بها دايف. كان قد لبس وحلق ذقنه، فقال لها:

«سأصطحبك الى المنجم وأشرح لك العمل الذي ستقومين به.

انصحك بان ترتدي قبعة لحماية رأسك من لهب الحرارة».

ضبطت كيم نفسها. لا جدوى من ان تعبّر عمّا يختلج في اعماقها. سيكون صداها كوضع ماء على ظهر البط. في كل حال، من مصلحتها ان ترافقه، حتى تتكوّن لها فكرة عن وسائل التنقل هناك. نهضت من دون ان تنطق بكلمة واحدة وراحت تبحث في حقيبتها، عن قبعتها الصغيرة البيضاء، التي لا شك انها غير كافية في هذا المناخ الاستوائي، لكنها لا تملك سواها. وضعتها في مؤخرة رأسها في حركة تحدّ ولحقت به الى الشرفة. وعندما اصبحت قرب دايف، مدّ ذراعه وسحب مقدمة القبعة الى جبينها.

«هكذا تحمين عينيك. اما عنقك فيحميه شعرك».

يقع مكتب المحاسبة في مواجهة المكتب الذي استقبلها فيه دايف في اليوم الاول من مجيئها الى المنجم للبحث عن كريس. كان الحرّ خانقاً. وبينما كان دايف يشرح لكيم عن الملفات والكتب، وقف اربعة رجال افارقة يراقبونها بتكتم. عملها انحصر في تحضير رواتب عمال المناجم، حسب بطاقات الاوقات. وعليها ان تحضّر بطاقات الاجرة التي تلتصق في كل ظرف. ولن يعود امام الموظفين الافارقة الا ان يحصوا الاموال بعدما يعتمدون على هذه الارقام. انها مسؤولية كبيرة وبطاقات الاوقات وحدها تتطلّب دقة، وعليها ايضاً ان تحسب المنح والمساعدات والساعات الاضافية.

سألها دايف:

«هل تعتقدين ان في امكانك ان تتدبري أمرك؟».

ترددت قبل ان تقول:

«هل فكرت ان تطلب مدققة حسابات من الشركة؟».

«مع لوكسلي غونتر، لسنا في حاجة الى آلة نظامية. في رأسه كل ما نحتاج اليه».

«قيل لي انه ترك عمله، اليس كذلك؟».

«كلا. انه في اجازة مرضية طويلة».

www.liilas.com/vb3

راحت كيم تقلّب صفحات السجلات وتنظر الى أعمدة الارقام المرتبة:

«ماذا كان سيحدث لو لم اكن هنا؟».

«كانت الشركة مضطرة لأن توظف رجلاً آخر. اما الآن فسنستمر في العمل حتى يتسنى لغونتر ان يستعيد عمله».

لم تجرؤ كيم ان تسأله عما يشكو المحاسب القديم، ولم يكن مستعداً لاخبارها. وفكرت بأنها اذا رحلت فوراً، فسيخسر هذا المحاسب وظيفته. لكنها اذا بقيت، فانها ستنصاع لشروط دايف. وهي ترفض هذه الشروط. كانت آسفة لحالة هذا المحاسب النيجيري، لكن، في هذا الوضع بالذات، عليها ان تفكر أولاً بنفسها.

مدّ احد الرجال الذي سبق ان شاهدته كيم في النادي، رأسه من الباب وقال لدايف، بعد ان القى نظرة خاطفة الى كيم:

«انهم في حاجة اليك فوراً. هناك بعض المشاكل».

«سآتي في الحال...».

ثم قال لكيم:

«ابقي هنا وطالعي الكتب. واذا اردت الخروج، فلا تقتربي من شاحنات الحمولة، ولا تحاولي العودة مشياً الى المنزل».

وافقت باذعان وظلّت صامتة، ومتظاهرة بأنها مستغرقة في الملفات. رفعت عينيها ورأته يتسلّق التلة، فتنهّدت بارتياح عندما اختفت السيارة في زاوية المبنى. ولما التفتت الى الوراء، شاهدت الموظفين الاربعة يتفحّصونها بفضول فابتسمت لهم، منزعجة بعض الشيء، وحاولت البحث عن كلمات تقولها، لكنها لم تجد شيئاً.

وفي هذه اللحظة تحوّلت كل النظرات نحو النافذة. وتطلّعت هي ايضاً ورأت طائرة الهيليكوبتر فوق المرتفعات. والضجة التي تصدر من محركها تختلط مع الاصوات الآتية من المنجم. هبطت الطائرة واختفت وراء سقوف المنازل المطلية، من الجهة الثانية من الطريق

المعبدة. فقط، دخان غبار يشير الى المكان الذي هبطت فيه. وبدأ الرجال الاربعة يتحدّثون في الوقت نفسه بلغتهم المحلية. الظاهر انّ زيارة الطائرة الاسبوعية حادث له اهمية. لم يعد احد ينتبه اليها، فخرجت سعيدة بأنها استطاعت التخلّص من هذا الجوّ الحار. لم يكن الطقس افضل في الخارج. كانت الشمس اللاهبة تصفع رأسها وكأنها تدخل الى دماغها. قطعت الطريق ومرت بين مخيمين. كانت طائرة الهيليكوبتر قد حطت في مستوى ادنى، على ارض مسطّحة، قريبة من المدخل الرئيسي المسيّج.

الطيار يتحدّث مع رجلين يبعدان عنه قليلا. كان شعره الاشقر يلمع تحت اشعة الشمس. شعرت كيم بحلقها ينقبض لدى تذكرها كريس، لكن ليس هذا وقت التفكير فيه. عليها ان تفكر فقط بكيفية الهرب من السجن الذي دخلته بارادتها.

اضطرت الى اخذ الطريق كي تنزل في اتجاه الطائرة. مشت بسرعة هائلة محاولة ان تسير في ظل المباني، وبينما هي تصل الى المبنى الاخير وتظهر للعيان، رأت الطيار يحمل كيساً ليسلمه الى احد الرجال، لمح كيم وتعجّب لرؤيتها ووقف فاغر الفم يحدّق فيها.

قال مستغرباً:

«هكذا اذن! هذا شيء غير مألوف! هل انت امرأة حقيقية، او سراب؟».

ابتسمت كيم مندهشة امام لهجته الاميركية وتعبيره الصريح، المنفتح. فقالت بدون اي تردد:

«اني ادعى كيمبرلي فريمان. وانا حقيقية مئة في المئة».

«اشعر بارتياح الآن. وانا ادعى جيري برايس. لا تقولي انّ النساء يعملن هنا!».

«لن اقول لك هذا، اعدك بذلك».

ثم رفعت عينيها نحو جناحي الطائرة وقالت:

«هل هذه الطائرة لك؟».

www.liilas.com/vb3

«اني اتمنى ذلك. انما لست سوى موظف في الشركة التي تملك هذه الطائرة. لدي الخبز والزبدة ولديهم المربى».

تأملته لحظة وقالت:

«كنت اعتقد انّ المال، والمعاشات العالية هي التي تجذب الرجال الى هذه البقعة من العالم».

«في البداية، نعم... لكن البلدان الاستوائية تجذب الانسان. اني هنا منذ اربع سنوات وحتى الآن لم اشعر برغبة في العودة الى بلادي. اعتقد، انه بعد وقت معين، سأشتاق الى هذا الجحيم. وانت؟ هل انت هنا لمدة طويلة؟».

اجابت بحيوية:

«في زيارة قصيرة. في الحقيقة كنت اريد ان اسألك اذا كان يحق لي ان اطلب منك ان تأخذني الى فريتاون عندما تعود. ان الطريق طويل».

«بكل تأكيد، لمَ لا. شرط ان تكوني مستعدّة للذهاب في الحال. انّ اوقاتي منظمة».

«نعم، اني حاضرة».

«حسناً. اصعدي».

فتح باب الطائرة وصعد اليها ثم ساعد كيم على الصعود بدورها. نظر الطيار وراءه ووضع يده على ذراعها وقال لها:

«انتظريني. ها دايف نلسون آت. لم اره في المرتين السابقتين».

التفتت كيم الى الوراء ورأت شبح دايف الطويل يتقدم في خطى واسعة. فتولاها الذعر. لم يعد في وسعها ان تفعل شيئاً. فهو يتقدم والطيار في انتظاره. لقد فشلت محاولة هربها قبل ان تبدأ. فراحت تنتظر الرجل الذي تزوجته حتى يصل الى الطائرة.

من الصعب معرفة بماذا كان يفكر دايف نلسون في هذا الوقت بالذات. ونظرت كيم في عمق عينيه الرماديتين. ولم تكن قادرة على معرفة ما اذا كانت ملامحه تعبّر عن الغضب او السخرية. كانت

كبرياؤه على المحك. اذ ليس في استطاعته ان ينكر نوايا كيم، وانها حاولت استخدام جيري برايس للتخلّص منه.

قال بصوت آمر:

«انزلي!».

ثم قال لجيري:

«آسف لأنني حرمتك من الراكبة. إنّ زوجتي باقية هنا».

«زوجتك؟ لكن... قلت لي انك تدعين فريمان».

«أعرف. ارجو المعذرة».

أمسك دايف بخصرها وهي تحاول النزول، ورفعها ثم وضعها امامه وظل متمسكاً بها. كانت تشعر بيديه تحرقان جلدها من خلال قميصها.

قال لجيري في نبرة عادية:

«سنلتقي الاسبوع المقبل».

أقفل الطيار الباب وانتظر حتى ابتعد دايف وكيم ثم ادار المحرك. ولما اقلعت الطائرة تطاير شعر كيم والتصق بوجهها. وبالكاد كانت ترى جيري ينظر اليها وهو يحلّق لثانية قبل ان ترتفع الطائرة عالياً وتعلو فوق المرتفعات. وفي هذه اللحظة ارخى دايف قبضته عن كيم لكنه لم يتركها كلياً. وراح يقول ساخراً.

«اذا قمت بمحاولة شبيهة مرّة ثانية، فسيكون لديك حجة كافية للهرب!».

هنا، في الهواء الطلق وتحت شمس ساطعة وامام عيون الجميع، شعرت بالامان وهي ترد عليه:

«لدي سبب آلآن. فليس في امكانك ان تجبرني على البقاء».

«لا؟».

وتأكدت آلآن انه يمزح فعلاً. وتابع:

«اين تنوين الذهاب اذا تركتك تفرين للحال؟».

كذبت حين قالت:

www.liilas.com/vb3

«لا اعرف. ولا يهمني ذلك. اذهب الى اي مكان، شرط ان اكون بعيدة عنك».

«كاذبة! كنت تنوين العودة الى ادامس، آملة في أن يساعدك. متى ستفهمين انه لا يريد ان يعرف عنك شيئاً او يسمع عنك شيئاً؟ حتى ولو تسوّلت او تاجرت بنفسك، فان هذا لم يعد يهمه!».

اجابته:

«هل تقدم لي شيئاً مختلفاً؟».

همس دايف قائلاً:

«انا تزوجتك، تذكري ذلك. انه زواج قانوني ومناسب. هنا العادات تتطلّب من المرأة ان تطيع زوجها في كل شيء والا تحملت عواقب تمرّدها. لا يزعجني اذا تشاجرنا معاً في الاوقات الحميمة، لكن اذا حاولت مقاومتي مرّة ثانية امام الناس فستندمين. سوف تتناول طعام الغداء في النادي. قلت لباتريك ان يأخذ عطلة بعد الظهر».

www.liilas.com/yb3

تركها وهو يبتسم في سخرية.

«لست جائعة. أفضل العودة الى المنزل».

«كما تريدين».

أوصلتها السيارة امام باب المنزل. كان باتريك قد ذهب. العتمة في غرفة الجلوس اراحت كيم بعد انبهار الشمس. رمت بقبعتها على الكرسي وجلست في المقعد وراحت تطالع بعض المجلات القديمة. لم تجد فيها شيئاً مهماً، فوضعتها جانباً. ان هذا المنزل يخص عالم الرجال.

وأخيراً، ولكي تشغل نفسها، توجهت الى المطبخ وراحت تسخّن الماء لتصنع لنفسها القهوة، التي وجدتها بعد تفتيش طويل، داخل علبة حديدية، موضوعة فوق احدى الخزائن. وراحت تفكر، يجب ان تفعل شيئاً ما. ووعدت نفسها ان تقول لباتريك في الغد ان يغسل كل الاواني المطبخية من جديد ويضع الادوية القاتلة للحشرات. اذا

كان من المفروض عليها البقاء في هذا المكان اللعين، فانّها غير مستعدة لأن تعرّض صحتها للخطر.

اذا كان من المفروض عليها ان تبقى؟ انتفضت من مجرد التفكير في الأمر. لكن، ماذا تستطيع ان تفعل غير البقاء؟

٤ - حب بلا حنان

www.liilas.com/vb3

أمضت كيم فترة ما بعد الظهر ممدّدة على السرير، تخنقها حرارة الطقس وثقل الجو. وراحت تتساءل: بماذا فكّر باتريك عندما رأى قفل الباب المحطّم؟ لا شك أنه ينظر بحكمة الى كل ما يحصل داخل منزل يسكنه رجل أبيض، تماماً كما نظر اليها بدون ارتباك عندما رآها في الصباح ساعة دخوله المنزل. فصممت أن تقلّد هذا التصرف بالذات، خلال مدة اقامتها هنا. فهي غير قادرة على التخلّص من دايف. لقد حاصر كل المخارج وهي الآن في ورطة لا خلاص منها.

الليلة، ليس هناك من يمنعه من الحصول على حقوقه كزوج، هذه الحقوق التي رضيت بها عندما قبلت الزواج منه. في امكانها أن تدافع عن نفسها. ولكن الى متى؟ ولماذا ترهق نفسها ما دامت ستنهزم في

النهاية؟ التجاهل هو أفضل تصرّف في مثل هذه الظروف، وأقل ارضاء لرغبات رجل مثل دايف. وربما، اذا تخلت عن مقاومته، يتخلى عنها أو لا يبالي بها.

أخذت حماماً آخر وارتدت فستاناً من اللون الأزرق مع زنّار يظهر نحافة خصرها. ولما دخلت الى غرفة الجلوس، كان باتريك يضع الكؤوس والزجاجات على الصينية. فسكب لها العصير المثلج؛ فقبلته وراحت تجلس بين الباب والنافذة للاستفادة من النسيم الخفيف الذي هبّ عند غياب الشمس. انها الليلة الثالثة التي ستمضيها هنا، لكنها تشعر بأنها أمضت قرناً بكامله منذ اليوم الذي تركت فيه فريتاون للبحث عن كريس في المنجم. يا للغرابة، ان التفكير بخطيبها السابق لم يجعلها تنفعل بأي شعور. انه هنا، ويمكنها أن تستخدمه حتى ينقذها من هذه الورطة، لكنها فشلت في الهرب.

لم تكن قد انتهت من تناول عصيرها عندما توقفت سيارة أمام المنزل. ولم تتحرك عندما صعد دايف السلالم الى الشرفة، انما وضعت كأسها على شفتيها في حركة مقصودة.

قال في نبرة ساخرة:

«يبدو انك بدأت تعتادين الحياة هنا».

جلس في المقعد وخلع حذاءه ومدّ قدميه على الكرسي المقابل شاعراً بارتياح.

«هل تسكبين لي كأساً؟».

ومن دون كلمة، نهضت كيم وراحت نحو الصينية وسألته:

«عصير الليمون أو عصير التفاح؟».

«اسقني من شرابك أنت».

سكبت له كيم المشروب ووضعت قطع الثلج وقدمته له قبل أن تعود وتجلس في مكانها. شعرت أنه يراقبها وهو يشرب. لكنها قررت أن تبدو لامبالية. لا شيء مما يقوله او يفعله، يفقدها ضبط النفس التي أصرت بينها وبين نفسها أن تتحلى به خلال اقامتها هنا. ستكون

من الآن فصاعداً، الزوجة المطيعة، الوديعة، التي يحلم بمثلها كل الرجال، وسوف ترى ما اذا كان هذا السلوك سيعجبه! انها تعتبر أن رجلا مثله سوف يملّ منها خلال اربع وعشرين ساعة، لأنها تعتقد ان الرجال امثاله يفضلون الحصول على ما يريدونه بالكفاح والجهد.

أصبح الصمت ثقيلا، لا يقطعه سوى صوت صرصار الليل وصفير باتريك الذي يهيء العشاء في المطبخ. ولما تطلعت كيم في اتجاه دايف، شاهدته ممسكاً بكأسه يتأملها وعلى شفتيه ابتسامة غريبة. فانتصب رأسه فجأة ووقع نظره عليها. رفع كأسه كأنه يسلم عليها، وأفرغه في جوفه في جرعة واحدة، ثم نهض وقال:

«سأحاول أن أبدو أكثر لباقة».

دخل دايف غرفة النوم ليغيّر ملابسه ويهيء نفسه للعشاء.

تناولا طعام العشاء في الثامنة. كان مؤلفاً من لحم البقر المعلب المطبوخ مع الحشائش والمتبلات، والبازلا مع الرز.

اقترح دايف تناول القهوة في الشرفة. كان الظلام يعمّ المكان، والنسيم تحوّل الى ريح تعصف في هبات متقطعة والرعد يقصف بعيداً. شاهدت الأضواء مشتعلة في أحد المنازل المجاورة وسمعت ضحكات رجال داخل الغابة.

راح دايف يقول لها بلا مبالاة:

«انه صوت مجموعة الرجال الذين يتسلّون بلعب الورق. وهذا منزل كارل جرهارت».

«هل من عادتك لعب الورق معهم؟».

«أحياناً. هكذا يمر الوقت من دون أن نشعر به».

«أرجو الا أكون قد احتجزتك. لا أريد أن يمنعك وجودي من الاجتماع برفاقك».

وجّه اليها ابتسامة ساخرة:

«هل أتركك هنا وحدك؟ سوف يعتبرونني مجنوناً. كل واحد من هؤلاء الرجال على استعداد لدفع معاش سنة كاملة ليكون مكاني.

انك انسانة جذابة تلفتين الانتباه، أينما تذهبين. أما هنا فتتركين أثراً عظيماً».

«أسكت! لا أريد معرفة الأثر الذي أحدثه في الرجال هنا. هذا لا يهمني».

«صحيح؟ لن تكوني امرأة طبيعية اذا لم تكوني مبتهجة، خصوصاً انك في مأمن من أي رجل مغامر يرى أن أحلامه غير كافية لاشباع رغباته».

أجابت في حدّة:

«طبيعية؟ أو بالأحرى فاسقة، أليس كذلك؟».

راح يقهقه ويقول:

«الرجل الذي يريد المرأة التي تزوجها، ليس فاسقاً».

«بلى، عندما لا يحركه الا فسقه. جسدياً لست أفضل من أي رجل آخر يجبر المرأة على أن تستسلم الى رغباته».

أجابها من دون انفعال:

«الكلمة التي تبحثين عنها هي «الاغتصاب». أما أنا فلم أخبرك بشيء حتى الآن، وأعتقد أن ذلك غير ضروري. ان الذي لا يعرف ايقاظ مشاعر المرأة، ليس رجلاً».

كانت يدا كيم مشدودتين على ركبتيها. وشعرت بنبضها يتزايد بسرعة مجنونة:

«حتى عندما لا تشعر المرأة تجاهه الا بالكراهية والنفور؟».

«حتى أكثر من ذلك. ان الكراهية هي انفعال ايجابي. يا جميلتي. انها تجعل العلاقات أكثر اثارة من الحب نفسه».

«كيف يمكنك معرفة ذلك؟».

أجابها بسخرية:

«آه، لقد وقعت في الحب مرة. وهذه الحالة أدخلتني في أوضاع غير ملائمة، وعلمتني درساً لن أنساه. ليس للمرأة مكان واحد في حياة الرجل، الا السرير».

كانت العتمة كثيفة، فلم تستطع كيم أن تميّز بوضوح ملامحه. فهمست:

«لا شك في انها آذتك كثيراً».

«أدّت خدمة كبيرة لي. وأنا مدين لها بذلك. لا شيء يدوم، لذلك يجب الاستفادة مما نملك أكبر وقت ممكن».

«بما فيه أنا، على ما أعتقد؟».

«بما فيه أنت».

من دون ان تبدّل لهجتها، عادت كيم تقول:

«لكنك ارتكبت غلطة صغيرة معي. لقد وضعت علاقتنا في مستوى يختلف عن بقية الامور. تصوّر أني أقدر، أنا ايضا، على ان استفيد من هذا الوضع! تصوّر انه، عندما أعود الى انكلترا، أرفض الطلاق الذي كنت تخطط له! ستجد نفسك مضطراً لاعالة امرأة... كما يمكنني أيضا المطالبة بنفقة».

سألها دايف وهو يتصنّع اللطف:

«هل تحاولين تهديدي؟».

«كلا. أردت ان أؤكد لك أنك لست الفائز بصورة دائمة. ان هناك من يعرف ان يحل محلّك في كل وقت. انه الانسان الذي يعرف كيف يكتشفني في الوقت المناسب. انه قدري وقدرك في وقت واحد».

تقلّص وقال:

«أي ثمن تطلبين...؟».

تطوّر الأمر أبعد مما كانت تتصور. وماذا بعد؟ فكّرت كيم. لا شيء في العالم يجعلها تتعلّق بدايف، متى سنحت لها فرصة التخلّص منه. لكن ليس من ضمن خطتها أن تجعله يعتقد أنها ستتخلّص منه بسهولة كما يتصوّر.

أجابت:

«ثمن مرتفع جداً».

نهض واقترب منها. وبينما كان ينحني لرفع كيم من مقعدها قصف الرعد كأنه صدى نبضات قلبها المرتجف.

«اذن، سوف نرى ما اذا كنت تستحقين هذا الثمن!».

لم تفتح كيم عينيها الا عندما نهض دايف من السرير الآخر، عند الفجر. شعرت بعدم قدرتها على مواجهة ابتسامته الساخرة. ظلّت جامدة، انفها منغرز في الوسادة وهي تسمع خطواته داخل الغرفة.

وما ان سمعت الباب ينغلق وراءه حتى استدارت لتستلقي على ظهرها وتحدّق في سقف الغرفة من دون أن تراه. وراحت ذاكرتها تذكرها بمختلف التفاصيل التي حدثت تلك الليلة. لا حنان ولا لحظة نعومة، في الساعات التي امضتها بين ذراعي دايف، ولا حتى عاطفة تجعلها تستسلم. لكنها غير قادرة على تجاهل ردة فعلها ويقظة أحاسيسها التي لم تتمكن من مقاومتها. وشعرت بالخجل وهي تردد انها ليست افضل منه، وربما كانت اسوأ، اذ ان دايف على الأقل تصرّف على حقيقته. الانفعالات التي أحدثها دايف لا علاقة لها بالحب، وهي متأكدة من ذلك تماماً. مستحيل ان تحب انساناً كدايف نلسون. وخاصة بعد تلك الليلة!

دقت الساعة السابعة، لم تعد كيم قادرة على أن تبقى مسترخية بهذا الشكل، فنهضت. عكست المرآة الموضوعة فوق طاولة الزينة، عينيها الشاردتين. ألقت نظرة الى جسمها النحيف، لا فائدة من الندم. لقد حصل ما حصل، ولا يمكنها أن تغيّر شيئا. وبعدما عرفت ما حصل، فهي متأكدة أن لا أحد يمكنه أن يأتي لانقاذها.

ما حدث تلك الليلة سيتجدد، من دون شك، الا اذا رحلت من هذا المكان. والمشكلة تكمن في الاختيار ما بين علّتين: دايف، أو أن تجد نفسها وحيدة ومن دون مال في فريتاون ومن دون مساعدة. وماذا اذا رفض كريس مساعدتها؟ انها عاجزة عن ارغامه على مساعدتها. هو انسان حر، وفي كل حال، لم يعد ذلك الانسان الذي عرفته من زمان. تعذّب وهو يحاول أن يقنعها. وتعذّب وهو يحاول أن يعرف

www.liilas.com/vb3

ماذا تريد. وها هي الآن بعد كل هذا العذاب تعود الى الذي لم تعرف في الحقيقة لماذا احبته.

ما عليها اذن الا ان تفك حقيبتها وتضع ملابسها في الخزانة التي تسع كل أغراضها، الى جانب ملابس دايف الخفيفة وقمصانه المعلقة. وتساءلت كيم، لماذا يحتاج الرجل الى هذا العدد الوافر من الألبسة في هذا المكان وهذا المنجم. لكن سرعان ما فهمت أن دايف يمضي معظم عطلات الاسبوع في المدينة. وتذكّرت ان كريس لم يكن يخبرها كيف يمضي أوقات فراغه. كان يحدثها فقط عن العمل والطقس، وفي البداية، عن اشتياقه ورغبته الملحة لرؤيتها.

طرأت لها فكرة جديدة. ماذا سيفعل دايف في عطلة آخر الاسبوع؟ هل سيصرف النظر عن المطالبة بعطلته أو انه سيرضخ للواقع ويصطحبها معه؟ انها متأكدة انه لن يدعها تبقى وحدها مدة طويلة. أوضح لها انه لا يثق، لا بها ولا بزملائه، ودايف ليس من نوع الرجال الذين يخاطرون ليجدوا أنفسهم في نهاية المطاف منخدعين او متروكين.

بعد أن رتّبت اغراضها، ارتدت مئزراً أزرق وتوجهت الى الحمّام.

لم ينس باتريك أن يضع منشفة نظيفة داخل الحمام، كانت معلّقة على أحد المسامير قرب رشاش الماء، لكن خارج الباب. دخلت كيم وأغلقت الباب وراءها بواسطة مزلاج حديدي، ثم خلعت مئزرها وعلّقته قرب المنشفة ووضعت رأسها داخل قبعة الحمام، في الوقت الذي خرج دايف من المطبخ واتكأ على درابزين الشرفة وراح يتأمل النبات الممتد بين المنزل والادغال.

وقال من دون مبالاة:

«نحتاج الى قاذفة لهب لابعاد هذه الحشائش. في مناخ كهذا، لا فائدة من اقتلاع النباتات، وخاصة في مثل هذا الفصل من السنة».

لم ترد كيم. التفت نحوها وراحت عيناه تحدّقان بقبعة الحمام التي

تضعها على رأسها. وقال:

«هيّا، اسرعي. قلت للوك اننا سنوافيه بعد نصف ساعة».

عرفت كيم انه يخاطبها فقط من أجل أن يحيّرها. فلم تعر انتباهاً لما قاله.

أخذت كيم حماماً بهدوء ومن غير عجلة. وما أن انتهت حتى مدّت يدها الى خارج القاطع لتتناول منشفة الحمام، ثم لفتها حول جسمها وراحت تنشف جسمها. وكانت على وشك ان تضع المنشفة مكانها وترتدي مئزرها عندما انجذب نظرها الى حركة خفيفة قرب قدمها. احنت بصرها ارضاً، وظلت مسمرة مكانها مرتعبة. رأت عقرباً في زاوية منشفتها الملقاة على الأرض. من أين جاء. هذا لا يهم. في الوقت الحاضر، يجب معرفة ما عليها ان تفعله.

همست في صوت مرتجف:

«دايف، انه عقرب».

«لا تهتمي كثيراً. عليك فقط الخروج من هنا».

«لا استطيع. فهو على المنشفة».

انتصب للحال:

«أين؟».

«على الأرض. فهو لا يتحرك. انه على طرف المنشفة الملفوفة فوق جسمي».

هبط دايف بسرعة أدراج الشرفة. وقال:

«مدّي يدك بهدوء وارفعي المزلاج الحديدي على مهل. فالعقارب تتنقل بسرعة البرق».

أطاعته من دون تردّد. تحسّست المزلاج بيدها لأنها لا تريد أن ترفع نظرها عن العقرب القريب جداً من قدمها العارية. فسحب دايف الباب باحتراس حريصاً على ان يحافظ على الظل بواسطة جسمه حتى لا يدخل نور الشمس الى داخل الحمام. نظرة واحدة الى العقرب، ثم داس عليه، محاولاً ألا يخدش قدم كيم وأصابعها. ثم

www.liilas.com/vb3

أمسكها بذراعه وجذبها نحوه. فتمسكت بكتفيه بدون تردد. نسيت كل شيء، سوى انها نجت من موت أكيد. ولم تعِ ما حصل الا بعدما شعرت بحدّة ملابسه فوق جلدها. فوضعت المنشفة بسرعة حول جسمها وابتعدت عن زوجها الذي كان يلفها بذراعيه. فقال بسخرية:

«لا تقلقي. لن أحاول الاستفادة من هذا الوضع. من الأفضل أن ترتدي ملابسك بينما أنصرف الى ما يجب أن أفعله».

ذهبت كيم الى غرفتها وهي ترتجف خجلاً من ضعفها. انها تكره دايف نلسون، وبرغم هذا ألقت بنفسها بين ذراعيه وتعلقت به كأنها تريد ألا يهجرها. وكل هذا، بسبب حادث كان بامكانها أن تتخلص منه لولا خوفها واضطرابها. لكنها كعادتها استسلمت ونسيت أن حبيباً حقيقياً يحميها فقط!

ومن جديد، كان تناول الطعام داخل النادي تجربة حقيقية. وراحت تتساءل كم من الوقت سيمر حتى يقبل العاملون في المنجم بوجودها. عندما يلمحونها آتية تتوقف أحاديثهم... وفكرت وهي تتناول قهوتها، أن العاملين هنا ليسوا محرومين من النساء بشكل كلي. فالقرية ليست بعيدة تماماً.

وخلال الطعام، تحدّث لوك عن الاحتياطات التي سوف يتخذونها، بسبب قرب موسم الأمطار. فالعاصفة المنتظرة لم تحدث، لكن السماء تلبدت بالغيوم الكثيفة المتجمعة فوق الأدغال. وفضّلت كيم عدم التفكير بما يمكن أن يحدث عندما تهطل الأمطار. رطوبة محصورة، رائحة النبات العفنة، الوحل في كل مكان. انها بحاجة الى أحذية سميكة ومعطف مشمع، اذا كانت لا تريد ان تبقى سجينة المنزل.

وفي صدمة صغيرة، فهمت كيم الى أي درجة ارتضت الوضع الحالي، ما دامت قد بدأت تخطط لما يجب عمله. في خلال أيام قليلة توصل دايف لأن يقهر عقلها المقاتل الى درجة انها توصلت الى

الاعتراف بحقه في الحفاظ عليها وابقائها هنا. ووعدت نفسها بالانتقام. سيأتي اليوم الذي ستجعله يدفع ثمن كل دقيقة من هذه الاسابيع التي أجبرها فيها على البقاء قربه.

جاء شاب ليبلغ دايف بأنه مطلوب على الهاتف. فبقيت كيم وحدها مع لوك وسألته:

«هل تقبل بأن تعلمني البيليارد، في أحد الأيام؟».

فوجىء للوهلة الاولى، ثم ابتسم:

«بطيبة خاطر. هذا يسرني، شرط أن...».

«شرط أن يوافق دايف. ولماذا يمانع؟ فليس لديه سبب لذلك».

«قد لا يرضى بأن يدعك تأتين الى النادي وحدك. وكي أكون صريحاً معك، فأنا أيضاً لا تعجبني فكرة أن أراك تتنقلين هنا بحرية. تذكري ما حدث في الليلة الاولى».

«حصل هذا قبل أن أصبح ملك رجل واحد. ليس هناك من يجرؤ على أن يتشاجر مع دايف نلسون بسبب زوجته، اذا كان حريصاً على وظيفته. اذن، أين المشكلة؟».

رفع لوك ذقنه بحركة صغيرة وقال:

«المشكلة تكمن هنا. وأنا لا ألومه على ذلك. لو كان لديّ زوجة مثلك في مكان كهذا، لا أوكلها حتى الى أعز أصدقائي».

«يبدو أنك لا تثق بي».

نظر اليها لفترة وتردّد، ثم ابتسم في ارتباك وخجل:

«أرجو المعذرة. كنت أريد أن أقول، لا أثق حتى في صديقي».

«هل تعرف دايف من زمان؟».

«التقيته المرة الاولى في دكار، منذ عدة سنوات. كان يعمل في زويرات في موريتانيا، وأنا كنت في اجازة. فعدت الى انكلترا، لكني لم أتمكن من التعوّد على الحياة هناك. لذلك فقد وقّعت عقداً مع هذه الشركة. ولما جئت الى هنا، كان دايف قد سبقني. ومضت عليّ الآن سنتان في المكان نفسه».

www.liilas.com/vb3

«أنت معجب به كثيراً، أليس كذلك، يا لوك؟».

تردّد قبل ان يجيب:

«لنقل انه رجل يمكن الاعتماد عليه في وقت الضيق. في احدى المرات... لا، لا تعيري انتباهاً لذلك. فهو لا شك لا يريد أن أخبرك بذلك».

ولكي يخفي انزعاجه، تناول سيكارة وأشعلها. لم تصرّ كيم على معرفة ما كان ينوي قوله. فكانت تشعر غريزياً بأن القصة لن تعجبها. فللوك رأيه بالرجل الذي تزوجته، وهي لها رأيها الآخر. وعلى الأمور ان تظل هكذا. رفعت عينيها ونظرت وراء لوك الى الباب المفتوح على الممر حيث كان دايف يتكلم في الهاتف المعلّق على الحائط. كان واضعاً رجله على حافة كرسي ومنحنياً نحو الهاتف، واضعاً مرفقه على ركبته. وهكذا كان دايف يبدو وكأنه قد نحت بالحجر على يد نحات يريد ابراز نتيجة ما فعل اكثر من الوضوح والدقة الجمالية. لم يكن وجهه حسن المظهر، لكنه يلفت الانتباه. انه يبدو كما هو بالذات. رجل من حديد، قاس، صلب، لا يمكن أن يدمره أحد. لا شك أن بعض النساء يجدن فيه الاثارة التي لا تقاوم. لكن كيم لم تكن مثل بقية النساء. فهي لا تحلم الا بأن تجد وسيلة لكي تثقب درعه، وأن تضع فيه جرحاً سيحمل ندباته حتى آخر يوم في حياته.

www.liilas.com/vb3

وعلى سبيل التفكير، خطرت لها فكرة معينة. لا شك أن امرأة تمكنت من أن تؤذيه في الماضي. برغم أنه يحاول خنق هذه الذكرى وراء سخريته المدرّعة. ولنفترض أنها توصلت لأن تجعله يقع في هواها، أن يحبها فعلاً، فهل هذا يعني أنها تكون قد حصلت على السلاح المطلوب؟ ولمَ لا؟ صحيح انه الآن أكثر عناداً مما كان عليه، لكن، لا ينقصها الجاذبية، ولا تخسر شيئاً ان هي حاولت اغراءه. هكذا يكون الانتقام! وهذا يعادل الاذلال الذي يفرضه عليها.

وفجأة، انتبهت الى ان دايف أقفل سماعة الهاتف وهو يحدّق

فيها، رافعاً حاجبيه. فأحنت كيم عينيها، وتساءلت ما اذا كانت قد كشفت عن أفكارها في لحظة الشرود هذه. فالخطة التي تنوي تنفيذها، ستكون مغامرة فعلية. اذ ان دايف ذكي ومحتال وليس من السهل أن ينساق أمام خطط ساذجة وبدائية. لم تكن كيم واثقة من أنها قادرة على أداء دور يتطلب منها قوة جسدية متناقضة مع احساسها المرهق.

قال لها دايف عندما عاد الى الطاولة:

«سأذهب الى القرية. هل تحبين مرافقتي؟».

رفعت كيم عينيها، لا تعرف ما اذا كان يوجه سؤاله اليها أو الى لوك. فتعبير وجهه الغريب لا يدل على أي شيء مما يدور وراء عينيه الرماديتين.

وبعد تردد قصير أجابت:

«هذا يتيح لي بعض التغيير».

رافقهما لوك حتى الباب وراح يتأمل السماء:

«المطر قريب جداً. في المرة الماضية كان الطريق المؤدّي الى القرية كالسيلان. هل تعتقد أن في امكانك العودة قبل العاصفة؟».

أجابه دايف من دون أن يرتبك أو يشعر بانزعاج ما:

«والا، سنعود سباحة. لا مانع من ارسال فرقة الى هناك ليحفروا القنوات لتصريف المياه قبل العاصفة الاولى الضخمة. يبدو لي أن الامطار ستهطل باكراً، هذه السنة».

ولما أصبحا داخل السيارة، سألته كيم:

«ماذا يحدث داخل المنجم عندما تهب العاصفة وينهمر المطر الغزير؟ لن يكون في استطاعتكم الاستمرار في العمل، أليس كذلك؟».

«هذا يتوقف على العاصفة. اذا توقفنا عن العمل، كل مرة تهطل فيها الأمطار، فالأفضل ان نقفل المنجم طيلة الفصل كله. انه موسم سيء، لكننا نتدبر أمرنا بالتي هي أحسن».

«لكن هذه السنة بالذات لست مضطراً الى تحمّل كل هذه الأمور».
«كلا».
انتظرت برهة قبل ان تسأله:
«هل تنوي العودة الى هنا؟».
«لن أعود الى هنا. ثلاث سنوات في المكان نفسه تكفي. ان لوك سيحل مكاني. من حظك أننا سنغادر المكان بعد أسابيع قليلة. فلن تتحملي ابداً الفصل بكامله هنا».
وفكّرت كيم أن ما يعنيه قد يكون أنه سيملّ وجودها قربه طوال هذه المدة. وهي التي كانت تتمنى أن تكون قادرة على اخضاعه خلال تلك الأسابيع الخمسة! لكنها سرعان ما أزاحت عن عقلها الروح الانهزامية التي تهدّدها. في الوقت الحاضر، هو مهتم بها، أليس كذلك؟ ولم تبدأ بعد حملة الاثارة والاغراء! لكن من أين تبدأ؟
مضت عشرون دقيقة قبل أن يصلا الى القرية سالكين طريقاً صغيرة متعرجة. وراح دايف يخبرها انه، كلما جاء موعد تغيير الفريق، يقوم الرجال بفتح ممر بالساطور داخل الادغال. لكن هذه الممرات الضيقة لم تكن واسعة كفاية للسيارات. كانت القرية أكبر مما كانت تتصور. المنازل ذات الجدران المقشرة والسقوف الحديدية المتموجة، متجمعة هنا وهناك، تحت ظلال اشجار النخيل والأشجار التي تشبه الارز. أوقف دايف سيارته أمام أحد المنازل وقال لها وهو ينزل من السيارة:
«لن أبقى هنا وقتاً طويلاً».
لم يتسنَّ لها أن تسأله شيئاً، اذ اختفى عن الأنظار بسرعة فائقة، تاركاً كيم عرضة لفضول سكان القرية.
لم تستطع كيم أن تتحمّل الجو الخانق داخل السيارة، الرطوبة تثير عصبيتها، فقررت النزول من السيارة، لكنها ما ان تحركت من مكانها حتى شعرت بقميصها ملتصقة بجسمها، من شدة العرق.

أخيراً، نزلت واستندت الى جناح السيارة، في الظل، حيث الهواء أكثر انتعاشاً. فالغيوم الآتية من الشمال ملأت السماء بكثافتها ولونها الأسود، وأصبحت تهدد بقرب اندلاع العاصفة. الرعد يقصف في الجبل ويقترب شيئاً فشيئاً. ومن حين الى آخر، البرق يلمع في الفضاء. بدأت تتمنى أن يعود دايف بسرعة، كي لا تضطر لمواجهة العاصفة الآتية وحدها.
اقترب ولدان من السيارة ثم راحا يحومان حولها بدون توقف. ربما هما شقيقان لشدّة الشبه بينهما. الكبير في سن الثانية عشرة والثاني في العاشرة تقريباً. راحا يتأملان كيم بحدّة. كان الصغير يرتدي قبعة بيضاء شبيهة بقبعة عمال المناجم، تتأرجح باستمرار لدى أي حركة يقوم بها.
سألها الصبي الأكبر وقد شجعته على ذلك ابتسامة كيم الآلية:
«سكائر. هل معك سكائر، يا سيدة؟».
أجابت وهي تبعد يدها:
«آسفة!».
خرج دايف من المنزل ترافقه حتى الباب امرأتان تضحكان وترتديان ثياباً اوروبية. فقال للولدين في رقة:
«هيّا، ابتعدا من هنا».
وقبل أن يقلع بالسيارة، رمى ببعض النقود الحجرية الى الصبي الكبير، ثم سأل كيم وهما في الطريق:
«ماذا كانا يريدان؟».
«سكائر».
ابتسم دايف وقال:
«تعوّدا طعم السكائر. وهذا يؤذي صحتهما ونموهما».
«يبدو أنك على معرفة بهما».
«انهما ابنا رئيس العمال، الرجل الذي كنت ازوره الآن. لقد كسر احدى قدميه منذ أسبوع، وهو قلق على عائلته. ان الشركة تهتم

www.liilas.com/vb3

به، في مثل هذه الأحوال، لكنه لا يصدق ذلك، ومن الضروري طمأنته باستمرار. ما رأيك بزوجتيه؟».

انتفضت كيم ونظرت الى دايف:

«زوجتاه؟».

«ولم لا؟ فهو مسلم. ويحق له أن يتزوج أربع نساء اذا أراد. . . والآن سآخذك الى المنزل ثم أعود الى المنجم قبل قيام العاصفة».

لكن آمال دايف ذهبت سدى. اذ ما ان صارا في منتصف الطريق حتى قصف الرعد القوي ثم هطل المطر مدراراً مثل تدفق السيل. لم ترَ كيم في حياتها مطراً بمثل هذا الزخم الذي شبهته بجدار ماء حقيقي تحول في ثوان الى مستنقع، جاعلا الاستمرار في قيادة السيارة امراً مستحيلا. أوقف دايف السيارة على جانب الطريق وأطفأ المحرك.

«يجب علينا الانتظار حتى تهدأ العاصفة قليلا. فاذا اكملنا الطريق، فلن يعود بوسعنا أن نميّز الطريق المعبّدة من الموحلة، ونقع في مأزق عويص».

قالت كيم باستغراب محاولة الا تبدو مضطربة:

«هل هذه طريق معبّدة؟ أنا اعتبرها نهراً جارياً!».

«ما دامت المياه تجري، فنحن في أمان. وعندما تنحسر، تبدأ المشاكل».

تناول سيكارة وفاجأه تعبير كيم عندما قصف الرعد مرة ثانية. فأضاف بهدوء:

«في الظاهر تبدو الأمور على غير ما هي عليه. في هذه البقعة من الأرض، كل شيء يبدو أكبر من الطبيعة الحية بكثير. هل تريدين سيكارة؟».

أخذت واحدة وقدّم لها ناراً ثم أشعل سيكارة ورمى الكبريت من نافذة السيارة. ولفترة، ظلا صامتين، ينصتان الى صوت الطوفان الراعد.

صرخت كيم في تململ:

«كيف تستطيع أن تتحمل ستة أشهر متواصلة في طقس كهذا؟».

«السنة الاولى كانت أسوأ السنوات. لكن مع الوقت يتوصل الانسان الى التأقلم مع المناخ. بعض المهندسين يحاولون أخذ اجازاتهم السنوية خلال فصل الأمطار ليرحلوا الى الشمال».

«وأنت. . .؟».

هزّ كتفيه:

«في العطلة، كل الأمكنة تتشابه. اجمالا أمضي عطلتي في فريتاون».

«أظن انك تذهب الى فريتاون بصورة مستمرة».

«في عطلة نهاية الاسبوع».

ثم أضاف في لهجة خفيفة:

«اذا كنت عاقلة، يمكنني أخذك معي. لم تسنح لك الفرصة لزيارة المدينة خلال المرتين التي ذهبت فيهما الى هناك».

www.liilas.com/vb3

اضطرت كيم للقول باللهجة ذاتها:

«لا. الحقيقة، يؤسفني أن أعود الى لندن وأقول ان كل ما رأيته في سيراليون، هو المنجم».

سألها فجأة:

«واصدقاؤك في لندن، هل اخبرتهم عن مشاريعك؟».

«تريد أن تقول، مشاريعك أنت».

«الشيء نفسه. أجيبي».

«ليس لديّ سوى صديقة واحدة، تلك التي كنت أتقاسم شقتي معها. وبطبيعة الحال طلبت منها ان تجد شخصاً آخر، خلال مدة اقامتي في افريقيا. اذ لم أكن قادرة مادياً على أن أدفع ما يترتب عليّ من الايجار خلال غيابي. في كل حال، لم أكن اعرف كم من الوقت سأبقى هنا».

راح دايف يتأملها بفضول واستغراب:

«ألا تفكرين أبداً قبل ان تقدمي على تنفيذ أي عمل؟».

فاعترفت نادمة:

«كلا، ليس دائماً».

ثم أضافت بصوت أكثر قسوة:

«لكني اعتقد الآن أني شفيت من ذلك».

ابتسم وقال:

«آه. لست في وضع سيء، على ما أظن. يخيل اليّ أنك بدأت تعجبين بالتدبير الذي قمنا به».

شعرت كيم أن وجنتيها احمرّتا خجلاً:

«هناك فرق شاسع بين الاعجاب والاستسلام. اذ عرفت عنك شيئاً واحداً، فهو انك خال كلياً من أية عاطفة انسانية، وبالتالي فانه من الواضح أن لا جدوى من أية مقاومة. ان التدبير الذي اتخذناه، كما تقول، عليّ أن اتقبله حتى العودة الى بلادي. انه لا يعجبني، لكن لا يمكنني ان افعل أي شيء آخر، اذا كنت أريد المحافظة على حياتي».

لمع بريق في العينين الرماديتين بينما كان يتفحصها. وقال أخيراً من دون اضطراب:

«لست سوى انسانة كاذبة. في الواقع، انك تريدينني بقدر ما أنا أريدك، لكن نظريتك السخيفة تمنعك من الاعتراف بذلك. ليس في الكون امرأة واحدة بهذا الغباء لتصدق كل تلك الحماقات التي قذفت بها على رأسي تلك الليلة. انك تحاولين فقط ان تتذرعي ضد ميولك الشخصية».

صرخت وهي تشدّ على اسنانها:

«هذا ليس صحيحاً. انت تعتقد بأنك رجل لا يمكن لأحد أن يقاومه، لكن يمكنني أن اقول لك انك، بالنسبة اليّ، لست سوى وسيلة للوصول الى الهدف المعيّن. واذا كنت مصرّاً على معرفة كل شيء، أقول لك اني أصاب بالهلع كلما لمستني».

قال ساخراً:

«هذا ما لاحظته. حسناً. انك لا تحبين هذه العلاقة بيننا، وأنا كذلك».

تناول سيكارتها من بين اصابعها ورماها مع سيكارته خارجاً. ثم جذب كيم اليه وشدّها بين ذراعيه وراح يبتسم ساخراً عندما قاومته بطريقة آلية:

«هيّا، دافعي عن نفسك. اني احب الغضب عند النساء».

اغمضت كيم عينيها عندما انحنى رأسه نحوها وتسلّحت بالشجاعة اذ عرفت ماذا سيحدث. لكن لم يحدث شيء بالفعل، ففتحت عينيها من جديد ورأت أن وجهه ما يزال بعيداً عن وجهها، ورأت في أعماق عينيه الرماديتين بريقاً ساخراً. وضع يده على قلب كيم، ينصت الى نبضاته، ثم رفعها نحو عنقها وراح يداعبه في لطف غريب. شعرت بأعصابها كلها ترتجف. فارتعشت عندما راح يعانقها وراحت تقاوم لضبط انفعالاتها. كرهت نفسها بقدر ما كانت تكرهه، لأنها لا تملك القدرة الكافية لمقاومة الأحاسيس التي توقظها مداعباته. راحت تفكّر بيأس، انه لم يمضِ سوى ثلاثة أيام وها هي الآن تحوّلت الى هذا الوضع الذليل. من تكون هي فعلاً ما دامت حياتها المليئة بالنظريات تقوم على أساس متزعزع وغير ثابت؟

وتذكّرت أن تصرّفها هذا ضروري لكي تنفّذ مشروعها. كيف تنتقم اذا لم تستخدم كل الأسلحة التي في تصرفها. من أجل ان تؤذي هذا الرجل بجرح عميق عليها أولاً ان ترضي رغباته الفظة. فهي عاجزة عن التخلص منها. الغاية تبرر الوسيلة!

ومع ذلك، فلم يكن في وسعها الا ان تتجنب نظراته، بعدما تركها. لم تكن فخورة بنفسها، ولا من وسائلها. ما حصل معها لم يكن ردّة فعل مقصودة. وبالفعل، فهي تعترف بأنها كانت ترغب في أن تتصرف كما فعلت، بالاستسلام له وعدم مقاومته. لم يبالغ دايف في تقدير سيطرته عليها عندما أعلن أنه قادر على جعلها تنفعل متى

www.lilas.com/vb3

أراد ذلك. انه يعرفها اكثر مما تعرف نفسها.

همس قائلاً:

«هذا اكثر مما كنت أتوقع».

أجابت محاولة اظهار غضبها بقوة كبيرة:

«أكثر مما تستحق! حسناً، لقد حققت ما تريده. لا شك أنك فخور من نفسك».

«ليس تماماً. بل لقد فوجئت. تريدين السيطرة على نفسك، لكنك الآن استسلمت ارادياً. لماذا؟».

«أنت تعرف ذلك جيداً».

«لأنك لم تكوني قادرة على أن تمنعي نفسك من الاستسلام».

راح يتفحصها وهي ترتجف ثم قال:

«لا أعتقد ذلك. لا شك أن سبباً آخر لديك».

«صحيح؟ وما هو؟».

وبرغم الجهود التي تبذلها، ظل صوتها يرتجف قليلاً.

«تريدين باستسلامك أن تكوني رائعة في نظري، ربما تجدين في عاهة يمكنك بواسطتها أن تجرحيني. انك لا تعرفين اخفاء نواياك، يا حبيبتي. لقد عرفت أنك تخططين شيئاً ما عندما نظرت اليك وأنا أتكلم في الهاتف، صباح اليوم. اذن، استمري في المحاولة، أرجوك. ربما ساعدتك التمارين على الاسترخاء كلياً».

شعرت كيم بالانهزام. وفهمت الآن انه يلهو معها، كما يلهو الهر بالفأرة. لا جدوى من الحلم، لكنها قامت بمحاولة أخيرة لتحاول التأثير عليه.

فقالت وهي تتأوه:

«دايف. دعني اذهب. لست اعني شيئاً لك».

«خطأ، مرة ثانية. انك تعنين الكثير لي. انت امرأة مثيرة ومغرية، وانك امرأتي قبل ذلك. وما دمت هكذا، فستبقين هنا، في قربي . . . العاصفة هدأت وبامكاننا العودة الآن».

انحنى وأدار المحرك.

خلال العودة لم تنطق كيم بكلمة. أوقف دايف السيارة قريبة من شرفة المنزل ونزل قبل أن يتسنى لكيم القيام بأية حركة. رفعها بين ذراعيه وحملها الى داخل المنزل.

كان المطر لا يزال ينهمر. وبعد أن وضع كيم في أحد المقاعد في غرفة الجلوس، دخل غرفته ليبدل قميصه المبللة، ولما عاد كان يرتدي قميصاً نظيفاً وهمّ بالخروج عندما شاهدته كيم.

http://www.adultpdf.com

«هل أنت خارج من جديد؟».

«نعم. هل أنت سعيدة؟».

«جداً».

مرّت أمامه من دون أن تضيف شيئاً ودخلت الى غرفتها وأقفلت الباب.

اقلعت السيارة بعد خمس دقائق. تمدّدت على بطنها على السرير، تراقب حياكة الغطاء، وتعد الأيام الباقية التي عليها أن تتحملها قبل أن تصبح انكلترا شيئاً آخر غير الحلم. ٣٥ يوماً. ٣٥ ليلة. ومتى أصبحت في انكلترا، ماذا ستفعل؟ لقد خسرت وظيفتها، وشقتها، ولا تملك سوى عشرين جنيهاً هي كل ثروتها. لكنها تفضل الموت جوعاً على أن تطلب من دايف أن يقدم لها المال. انها ترفض المضي في طريق الذل والمهانة.

www.liilas.com/vb3

٥- رياح ثلجية

www.liilas.com/vb3

اعصار آخر اندلع في نهاية الاسبوع، تلته ثلاثة أيام من الضباب الكثيف والحرارة الخانقة. أية حركة كانت تتطلب جهداً ملحوظاً، لكن العمل استمر على طبيعته داخل المنجم. كان الرجال يتذمرون آلياً من المناخ السيء، لكن لم يظهر على أي منهم أي دليل على أنه تأثر بتبدّل الطقس.

بدأت كيم تعمل بمراجعة ملفات أجور العمال، ثلاث ساعات قبل الظهر وثلاث ساعات بعد الظهر. أحضر لها دايف آلة حاسبة قديمة بدائية، انكبت على العمل بجدية ورأت أن المهمة المطلوبة منها أقل صعوبة مما كانت تتصوّر. انتهت من الملفات ظهر الاربعاء. البطاقات حضّرت، على كل واحدة منها ملصقة تحمل اسم الموظف

وعنوانه، وما على الموظف الا ان يعلن ساعات العمل التي قام بها ليتم تحديد معاشه الاسبوعي. وبعد أن انتهت من هذا العمل نهضت تفكّر بما يمكنها أن تفعله.

لم تكن لديها أية فكرة عن العمل الذي يقوم به دايف الآن. ولم تكن تعرف أيضا أين هو. خلال الأيام الماضية لم يكن يعود الى المنزل الا في المساء، ليرتاح قليلا قبل موعد العشاء. ان حياتهما المشتركة غارقة في الرتابة ومع ذلك فهي قانعة لأن لا اختيار أمامها. فهي بالنسبة الى دايف، ليست سوى رفيقة طريق. لن تجرؤ كيم على الاعتراف بأن الساعات التي تمضيها في النهار بعيدة عنه تمر بصعوبة، ولا تستعيد حيويتها ونشاطها الا عندما تسمع سيارته أمام الباب عائدة في الغسق.

كان باتريك يقدم لسيدته كل يوم الغداء بناء لأوامرها. طعام مؤلف من اللحومات الباردة والسلطة. وفي الرابعة والنصف يقدم لها الشاي كالعادة، ومن ثم تصرفه كيم ليعود في المساء قبل موعد العشاء. أما اليوم، فقررت ان تصرفه باكراً ليعود في الغد كالمعتاد. وسوف تقترح على دايف، عندما يعود في المساء، أن يتناولا العشاء في النادي. فهي بحاجة الى ما ينقذها من الرتابة.

قرأت في فترة بعد الظهر قصة بوليسية اختارتها من بين الكتب العديدة في مكتبة دايف، كانت تحاول كل جهدها تجاهل الرطوبة الخانقة التي تسيطر على الجو. وكانت تسمع الرعد يقصف من بعيد والصمت الذي يعم الأدغال ينذر باندلاع عاصفة جديدة في المساء.

بعد اسبوع او اسبوعين، يتبدّل الطقس، لكن المطر سيظل يتساقط باستمرار خلال شهري تموز (يوليو) وآب (اغسطس). اما في ايلول (سبتمبر) فتخف الأمطار وبعدها يبدأ فصل الجفاف. بالنسبة الى كيم لم تستطع سبر أغوار هذا البلد. انه جحيم رطب، خانق، لا تصدق متى تغادره.

ولم تتذكر مشكلة الحياة الساخنة الا عندما قررت أن تأخذ حماماً

وتغيّر ملابسها. كان باتريك يهتم بذلك. وهي صرفته بسرعة بدون أن تذكره باحضار الماء قبل الانصراف. كان باتريك عادة يضع وعاء مليئاً بالماء على موقد يعمل على الخشب، وعندما تسخن الماء، يضعه في الخزان حتى يتسنى للراغب أن يأخذ حماماً فاتراً متى أراد. ولما توجّهت الى المطبخ كان الموقد بارداً والوعاء فارغاً. ملأت كيم الوعاء بالماء بواسطة مضخة تعمل على التيار الكهربائي. لكن المشكلة التي واجهتها هي كيفية اشعال الموقد. فقد شاهدت باتريك يشعله، لكنها لم تتذكر كيف. وعثرت في أحد الصناديق على كمية كبيرة من الخشب المقطع موضوعة في زاوية من المطبخ. كما وجدت قرب الحطب جرائد قديمة. وضعت الحطب داخل الموقدة والجرائد ايضا ثم أشعلت عوداً من الكبريت. اشتعلت زوايا ورق الجرائد ثم انطفأت. حاولت اشعال عود آخر وأدنته من الورقة التي اشتعلت بسرعة في يدها، فسحبت كيم يدها بسرعة، لكن سرعان ما انطفأت الورقة من جديد.

عدلت عن اعادة الكرّة ونظرت الى يدها ورأت مدى الحروق التي أصابتها. بدأت يدها تؤلمها، فتناولت خرقة من المطبخ ولفتها على يدها وراحت تتساءل عمّا يمكنها أن تضعه على الجرح لحمايته من الالتهاب. كربونات الصوديوم. لكن أين تجده داخل المنزل؟

لا شك أن لدى دايف الأدوية اللازمة. راحت تبحث عنها في غرفة الجلوس وهي تحمل يدها المصابة. لم تسمع صوت محرك السيارة، انتفضت بكاملها عندما رأت دايف على عتبة المنزل. قصف الرعد، فصرخ دايف:

«العاصفة قريبة».

لكنه شاهد يد كيم ملفوفة في خرقة نظيفة، فتبدلت لهجته:

«ماذا أصابك؟».

أخبرته كيم بما حدث من دون أن تظهر له أن يدها تؤلمها.

«ليس ثمة شيء خطير. كنت أبحث عن الدواء المناسب».

www.liilas.com/vb3

تناول يدها ورفع عنها الخرقة وراح يتفحص مدى أهمية الحرق وقال:

«يجب معالجة ذلك في الحال. سآخذك الى العيادة ليعاينك الدكتور سلبي».

«لا. لا ضرورة لذلك».

«أنا الذي أقرر اذا كان ذلك ضرورياً، أم لا. ان الجرح يلتهب بسرعة في هذا المناخ. لماذا أردت اشعال الموقد؟».

«صرفت باتريك وفكرت بأن في امكاننا تناول العشاء في النادي. هل هناك مانع؟».

كانت ابتسامة دايف مفاجئة وغير منتظرة.

«لا. لا أمانع. اعترف أنك بحاجة الى الخروج، لكن قبل كل شيء، علينا أن نعتني بيدك».

كانا في السيارة في طريقهما الى النادي عندما سألها:

«هل تعجبك فكرة قضاء عطلة نهاية الاسبوع في المدينة؟».

«معك؟».

«مع من اذن؟».

ظلت فترة صامتة قبل أن تهمس:

«ألم تعد تخاف أن أحاول الهرب من جديد؟».

«كلا. لا يمكنك الذهاب الى أي مكان. . . الا اذا كنت لا تزالين تفكرين في ادامس».

«لا فائدة من التفكير فيه بعد الآن».

«طبعاً. اني سعيد لأنك أخيراً بدأت تعرفين حقيقة هذا الانسان. . . ».

«كما قلت، فليس في امكاني الذهاب الى أي مكان. لا تقلق عليّ. سوف أحترم الصفقة التي عقدناها معاً».

«بدأت أملّ من تصرفك. لقد أوقعت نفسك في هذا التدبير بملء ارادتك. لقد أردت، بالطبع، الحصول عليك، لكني تصرفت

بطريقة قانونية ولم اقدم وعوداً كاذبة، يا امرأة لا تعرف ما هي الحقيقة ولن تعرف».

ابتلعت ريقها بصعوبة:

«الزواج لا يعطي الرجل بالضرورة جميع الحقوق تجاه المرأة. وخاصة في انكلترا».

«لكننا لسنا في انكلترا، وقد فعلت المستحيل لأفهمك ذلك. جئت الى هنا للبحث عن رجل وها أنت وجدت واحداً. ولا أعتقد أني أمدح نفسي كثيراً اذا قلت اني أفضل من ادامس. ربما تريدين أن تمر هذه الاسابيع بأقصى سرعة ممكنة، لكني أضمن لك انك لن تنسيها أبداً».

أجابت محاولة اخفاء ردّة فعلها باتخاذ موقف ساخر.

«الظاهر أن التواضع ليس من مزاياك. اني لا أرى ان الغرور جدير بالاحترام».

«وكذلك السذاجة. أتعتقدين أنني لا أعرف أن أميّز بين الانفعالية الحقيقية والبرودة المقصودة؟ اني أعرف انك لست كما تحاولين أن تقنعيني يا سيدتي المسكينة».

نظرت كيم من باب السيارة. ان وجود دايف بقربها، بيديه القويتين الموضوعتين على مقود السيارة يضايقها. انه يعرف كل شيء.. ولاسيما عن النساء. من قال ان الالفة تولد الاحتقار؟

كان طبيب المنجم في حوال الخمسين من عمره، لم يسبق لكيم أن رأته الا مرة واحدة. عاين يدها بسرعة، ووضع دواء أصفر اللون له رائحة كريهة. وقال:

«لن تسبب لك أية مشكلة، اذا حافظت عليها جافة. غداً يمكنك فك الرباط».

العاصفة التي كانت تهدد بالاندلاع، بدأت عندما وصلا الى المنزل. تدفقت الأمطار من الغابة بعنف مفاجىء، برغم انها كانت منتظرة. أشعل دايف الموقد وطلب من كيم أن تحضر له كأساً من

www.liilas.com/vb3

العصير في انتظار أن يسخن الماء. ثم اقترب من الشرفة يراقب تساقط المطر.

«المطر، على الأقل، يرطب الجو قليلاً».

«كنت اعتقد ان المناخ لا يزعجك».

«ليس هو المناخ المفضل، لكن لا فائدة من التذمر. يظل أفضل من مناخ «مالي» حيث المئات يموتون من الجفاف».

دخل ليشرب عصيره. الرسائل والملفات كانت على المكتب حيث وضعتها كيم. ألقى دايف نظرة عليها وقال:

«كم تحتاجين من الوقت كي تنتهي منها؟».

«انهيتها عند الظهيرة».

توقفت قليلا ثم أضافت في سخرية:

«كان في ودّي أن أنقلها الى المكتب، لو كانت لديّ وسيلة للتنقل، وبالطبع اذا سمحت لي بمغادرة المنزل!».

استدار دايف وراح يحدّق فيها في ابتسامة خفيفة:

«هل تبحثين عن المشاكل؟».

اجابت بسرعة:

«لا اريد أن أتشاجر مع أحد. كل ما قصدته أنني أتمنى لو كان في امكاني الخروج من المنزل ولو لفترة قصيرة، خلال النهار. اعرف جيداً أنك لا تريدني أن أتنزه قرب المنجم، لكني اؤكد لك اني لن أسبب لك المشاكل».

وبعد صمت قصير قال:

«لم أكن أعرف أنك تجيدين قيادة السيارات».

«لم أقد سيارة جيب من قبل، لكني كنت أراقبك وأنت تقود، وفي امكاني ان أتدبر امري. لن أحاول الذهاب بعيداً خارج المدخل المسيج».

«ويدك؟».

«سوف تتحسن بعد يوم أو يومين. فالجرح سطحي. انني لا

اطلب الكثير».

«حسناً. عندما نعود من فريتاون، سنرى ما يمكننا عمله».

راح يتأمل تعبير وجه كيم والسخرية في عينيه.

«ربحت المعركة بسهولة، أليس كذلك؟».

فابتسمت وقالت معترفة:

«كنت أنتظر مقاومة أقوى منك. فلم تعودني على هذا الاهتمام والعناية».

«حتى الآن لم تطلبي مني أي شيء. الماء سخن. هل تفضلين أن تأخذي حماماً قبلي؟».

«لا. سأستغني عن الحمام اليوم كي لا أضطر الى ترطيب الرباط. أكون شاكرة اذا تفضلت ووضعت لي بعض الماء في وعاء داخل المطبخ».

«اذا احتجت الى أية مساعدة، فلا ترددي في دعوتي».

«شكراً. لن أحتاج الى شيء».

وضع كأسه الفارغة وخرج من الغرفة.

استطاعت كيم أن تدبر أمرها، لكن في بعض الصعوبة. ذهبت الى الغرفة لارتداء ملابسها معتقدة أن دايف انتهي من حمامه. لكنها توقفت أمام عتبة الباب، محتارة، عندما رأته ممدداً على السرير. كان يدخن سيكارة ويطالع بعض الأوراق. لقد بدّل سرواله الجينز بسروال من القطن، لكنه لم يكن قد ارتدى قميصه. رفع عينيه، وبما انها لم تدخل، هزّ حاجبيه وقال:

«هل يزعجك شيء ما؟».

«لقد... اعتقدت انك حاضر».

«نعم. أنا حاضر. تقريباً. لسنا في عجلة».

«لا، لكن... أريد... أريد ان أمشط شعري وأزيّن وجهي».

«هل ممنوع على الزوج أن ينظر الى زوجته وهي تسرّح شعرها وتزيّن وجهها؟».

«كلا. بالطبع».

لم تعرف كيم لماذا شعرت بالحرج ان هو رآها تستعمل أدوات الزينة على وجهها.

«الا يحق لي أن أبقى وحدي أحياناً».

«طبعاً. اطلبي بلطف أن أذهب وأنا سأفكر في الأمر».

«اذهب الى الشيطان!».

«أهذا ما تعتبرينه لطفاً؟ ما زلت في حاجة الى أمور كثيرة تتعلمينها عن الرجال، يا جميلتي. والآن، تعالي الى هنا واطلبي ما تريدين بلطف».

ارادت كيم ألا تطيعه. ولكن هل يرغمها على أن تفعل ما طلب منها. قررت ان تتصدى له، لكن ما الفائدة؟ على الأقل اذا اقتربت منه، سوف تحافظ على القليل من المبادرة. تظاهرت بالهدوء واقتربت من السرير وتناولت قميصه النظيفة الموضوعة على الكرسي:

«هل لك أن تلبس قميصك وتخرج من هنا؟».

ومن دون أن ينتصب، مدّ ذراعه وبحركة سريعة، دفعها الى السرير. وانحنى عليها ليطفىء سيكارته في المنفضة، في الجهة الثانية. فالتقت العينين الرماديتين بعينيها الخضراوين:

«ماذا قلت؟».

«انك تدعك قميصك».

«آخذ قميصاً اخرى».

جالت نظراته في وجهها وارتفعت الى فمها وهمس:

«انك ترتجفين. تحاولين قدر المستطاع ألا اكتشف حقيقة عواطفك، لكنك تريدينني كما أريدك. ولم لا. اننا نريد الأهداف نفسها».

«لكنّ طباعنا تختلف».

بذلت جهداً حتى تتكلم بهدوء، وتغلق تفكيرها على ما تنادي به حواسها.

www.liilas.com/vb3

«وبالنسبة اليك، يا دايف، هذا يعني لك كل شيء»، أليس كذلك؟ انه هدف مادي بحت. انك تسخر كلياً بما أشعر به وبما أفكر فيه».

نظر اليها بتعبير فضولي.

«وأنت، هل يهمك ما أشعر به، وما أفكر فيه في هذه اللحظة بالذات؟».

شعرت كأنها تذوب، واحتلها احساس حراري جميل، لكن جزءاً صغيراً في داخلها ظلّ متمسكاً في عناد بالواقع، والعقل.

«لن أعطيك شيئاً، يا دايف. كل ما تريده، عليك أن تحصل عليه بنفسك».

«حسناً. اذا كانت هذه ارادتك».

اياً كان شعورها، فلن تدعه يشعر بالرضى ويعرف كم هي مختلفة عن تلك الفتاة الساذجة التي تزوج منها.

وصلا الى فريتاون في الساعة الرابعة بعد ظهر السبت وتوجّها فوراً الى الفندق الذي ينزل فيه في عطلة الأسبوع. كانت الغرفة نظيفة ومتواضعة وغرفة الحمام صغيرة الحجم. لم ترَ كيم أصغر منها. وضع دايف الحقائب على أحد السريرين ورأى كيم تتوجه نحو النافذة وعلى شفتيها ابتسامة صغيرة متشنجة. راحت تتأمل البحر. والبواخر الراسية. وربما هناك أيضاً سفينة نقل بريطانية. لكن ما الفائدة من ذلك. فليس من السهل الهرب من دايف. لكن، لم يبق أمامها الا ثلاثة اسابيع. ثم تعود الى بلادها حيث لا تراه ولا تسمع عنه شيئاً. لكن صوتاً في أعماق عقلها همس: «لن تنسيه ابداً».

التفتت فجأة قائلة:

«متى نتناول طعام العشاء؟».

«متى تريدين. هل انت جائعة؟».

«كلا. لكني سألت لمجرد أخذ العلم فقط».

فتحت حقيبتها وعلّقت ثوب السهرة والفستان، في الخزانة. ثم

وضعت مساحيق الزينة على الطاولة والتفتت اليه وترددت ثم سألت:

«هل تفضّل أن تفرغ حقيبتك بنفسك؟».

هزّ كتفيه في لامبالاة:

«افعلي ما يحلو لك. سأذهب الى المقهى وآخذ كأساً. اذ اردت اللحاق بي، فلا تترددي».

اجابت في برود:

«أفضل البقاء هنا، شكراً».

«اتفقنا. الى اللقاء».

بقيت كيم وحدها وانتهت من افراغ حقيبة دايف، فعلّقت ملابسه داخل الخزانة. ان ذهابه لا بدّ أن يشعرها بالارتياح، لكن الغرفة تبدو من دونه فارغة وموحشة. ندمت كيم لأنها رفضت دعوته.

وبعدما رتبت الأغراض، لم تعد تعرف ما تفعله. فكرت في أن تذهب للتنزه وزيارة المدينة، والأحياء القريبة من الفندق، لكن ذلك لم يجذبها حقاً. فالرطوبة اثقل مما هي عليه في المنجم، وعلى الأقل، هنا داخل الغرفة، المروحة الكهربائية المعلقة في السقف تغيّر الهواء قليلا.

نظرت من خلال النافذة عندما سمعت طرقاً على الباب. فتحته، وراحت تحدّق بالرجل الذي كان يقف امامها قبل ان تهتف:

«كريس!».

قال في صوت مشدود وهو يلقي نظرة وراءه:

«مرحباً كيم. هل يمكنني الدخول؟».

«اني... ماذا تريد؟».

«أن أتحدث اليك. أرجوك، يا كيم. لديّ مشاكل، مشاكل خطيرة!».

رأت اليأس في عينيه، فدعته الى الدخول وأغلقت الباب ثم

www.liilas.com/vb3

استندت ظهرها عليه.

«كيف علمت بوجودي هنا؟».

«شاهدتك تصلين مع دايف نلسون. انتظرت أن ينزل ثم اقنعت الموظف بأن يعطيني رقم الغرفة. يجب أن أهنئك. ان دايف نلسون «لقية». كيف نجحت في أن تدعيه يقع في غرامك؟».

«لم يكن أمامي أي اختيار. ماذا كنت تقول يا كريس؟ ما هي المشكلة التي تقلقك؟».

توجّه نحو النافذة ونظر الى الشارع، ثم أسدل الستائر ودار حول نفسه واضعاً يده في جيبه كأنه يستعد للدفاع.

«ان زوج ماي يبحث عني. وكذلك شقيقها».

«يبحثان عنك؟».

«نعم، يريدان قتلي اذا تمكنا. جاءا الى المنزل صباح اليوم وأخذا ماي في غيابي. ثم انتظراني. كنت أنوي الصعود الى المنزل لولا أن احد الاولاد حذرني من ذلك».

ارتبكت كيم وراحت تحدّق فيه. ثم سألته:

«لكن كيف أستطيع مساعدتك».

«هل تحملين مالاً؟».

صرخت عالياً وهي تجاهد كي لا تضحك:

«مالاً؟ كريس، منذ أيام، قلت لي ان لديك المال الكافي...».

«نعم، لكن المال الباقي موجود في المنزل. وبما أنني أعرف ماي تمام المعرفة، فانها بلا شك أخذت المال معها. كنا نود الهرب، اتفهمين؟ لذلك فقد سحبت كل أموالي من البنك لأننا كنا نخطط للسفر. لا يمكنني ان أعود الى المنزل لأحضر ملابسي وأغراضي ما داموا يبحثون عني. هذا اذا تركوا لي أغراضي. ما أحمله الآن لا يتعدى العشرين جنيها. وهذا كل ما املكه في الوقت الحاضر».

«وأنا لا املك المال التي تطلبه».

قال في صوت مخادع:

«لكن في استطاعتك الحصول على بعض المال. المرأة التي استطاعت ان تجعل دايف نلسون يتزوجها في امكانها ان تحصل على كل ما تريده من الرجل... الا اذا كان زواجكما قصة اخترعها دايف كي ينقذ سمعته».

همست كيم وهي تتساءل كيف استطاعت أن تبدو بهذا الهدوء:

«لا. ابداً. ألا تعرف دايف، يا كريس. لن يعطيني المال بالتأكيد. اذا عرف أنك هنا، فانه يسلمك لزوج ماي. اني... اني آسفة، يا كريس».

«لكنك أملي الوحيد!».

بدأ اليأس من جديد في عينيه وصوته. وفي خطوة وصل أمام كيم وأمسكها بكتفيها ونظر اليها بعينين متوسلتين.

«كيم. يجب أن تساعديني! ان الرجال هنا يجدون شيئاً طبيعياً أن يحطموا حياة رجل مدى الأبد، لسبب بسيط كهذا. أعرف أني تصرفت كالأحمق، لكن حاولي أن تفهمي! مع ماي، حدثت الأمور ضد ارادتي. والله وحده يعلم كم حاولت أن أقاوم حبي لها، والابتعاد عنها وعدم رؤيتها. لم أعد أعرف ما كنت أفعله. كنت في حاجة اليها. كيم، كنت مضطراً الى أن أظل معها».

شعرت كيم بالارتجاف يعتريها.

«أرجوك. لا أريد أن أعرف شيئاً عنها. لقد فضّلتها عليّ. لماذا تريد أن أساعدك الآن؟».

«لأنك لا تزالين كما كنت، ولأني أعرف أنك غير قادرة على تجاهل محنتي والتخلي عني كي أموت».

خيّم الصمت. ثم سألته:

«ما هو المبلغ الذي تريده كي تنقذ نفسك من هذه الورطة؟».

«ما يكفي لأن اشتري بطاقة سفر على الباخرة وأعيش بعض الوقت بينما افتش على عمل. مبلغ مئتي جنيه قد يكون كافياً».

ولما رأى التعبير على وجهها، أضاف:

www.liilas.com/vb3

«مئة. لنقل مئة جنيه. بأقل من مئة لا يمكنني أن أذهب الى أي مكان».

«ربما ستضطر الى ذلك».

تخلصت كيم من تمسكه بها. لا ترغب الا ان تراه يخرج من هذه الغرفة. ومن غير ان تعرف كيف ستتمكن من أن تحصل على مبلغ كهذا، سألته:

«أين يمكنني الاتصال بك؟».

«يجب عليّ ان ابقى قريباً من هنا. لا. لا يمكنني الخروج الى الشارع. سأبقى هنا. لقد حجزت غرفة هنا في هذا الفندق، لهذه الليلة، لكني مضطر لأن أغادرها في الغد».

لم تدرك كيم أن عنصر الوقت يمكن أن يؤثر على القضية ولن يغيّر شيئاً. وأية قصة تخترعها لن تكون بالنسبة الى دايف سبباً كافياً كي يعطيها المال المطلوب. الطريقة الوحيدة هي أن تقول له الحقيقة وهي تتخيّل الآن ماذا ستكون ردة فعله. لكن كريس كان على حق عندما قال انها لا تستطيع ان تبقى غير مبالية بما يحل به. يجب ايجاد طريقة لاقناع دايف.

جفت حنجرتها وهزّت رأسها:

«حسناً. والآن من الأفضل أن تخرج من هنا».

قال في صدق ظاهر:

«شكراً. كنت أعرف أن في امكاني الاعتماد عليك يا كيم».

فتح الباب، ثم اغلقه ونظر اليها:

«لا شك أنك تعتبرينني رجلا خسيساً».

«لا. اذهب، من فضلك. قبل أن يصعد دايف ويجدك هنا».

ذهب كريس وبقيت كيم جامدة في مكانها، مرتعبة، تحدّق في الباب المغلق. وبعد فترة من الوقت تمالكت نفسها وجلست ببطء على السرير. ليست هناك الا طريقة واحدة لحل المشكلة، وهي غير متأكدة من انها ستنجح، لكن عليها ان تحاول لأنه لا يمكنها ان تفعل

شيئاً آخر.

كانت قد ارتدت فستانها الأزرق عندما عاد دايف الى الغرفة. استقبلته بلا مبالاة وراحت تتظاهر بقراءة احدى المجلات بينما كان يأخذ حماماً ويغيّر ملابسه. للمرة الاولى تراه في بزة أنيقة تظهره بمظهر مختلف تماماً.

فالرجل القاسي، الجاف التي تعودت عليه، اختفى وحلّ مكانه، رجل مجهول، انيق ومرتّب. حتى ملامحه النافرة لا أثر لها.

وفجأة قال لها:

«حاولي الابتسام. لا نريد أن يظن الجميع أننا على خلاف».

«أنت تسخر عادة بما يفكر فيه الناس».

«ربما تكونين على حق. هيّا بنا».

عندما وصلا كانت غرفة الطعام تعجّ بالناس. وبرغم المراوح الكهربائية، كان الجو خانقاً والذباب يحلق في كل مكان.

قال دايف:

«الطعام جيد هنا. في افريقيا يتعلم الانسان الا يبالي بالديكور».

اشعلت سيكارتها بولاعته، بينما أشعل سيكارته بواسطة شمعة تعلو زجاجة موضوعة على المائدة. ثم راح يتفحّص كيم على الضوء المتأرجح:

«هل أخذت قسطاً كافياً من النوم؟».

انتفضت وقالت:

«نوم؟».

«ظننت انك نمت بينما كنت أنا في المقهى. هل خرجت؟».

«لا. لا. ابداً... الظاهر أن الخدمة هنا غير سريعة».

«لسنا في عجلة... الا اذا كنت تنوين القيام بعمل آخر؟».

نظرت اليه وأغمضت عينيها:

«لا. لا. لماذا؟».

«لا تردي على السؤال بسؤال آخر. ان ذلك يوحي بأنك تخبئين

www.liilas.com/vb3

شيئاً ما».

قالت لنفسها انه الوقت المناسب لتسأله ما تريد، لكن المكان ليس مناسباً. ومن دون شعور، راحت تدير الكأس بين اصابعها، فاذا بيد دايف تمسك بأصابعها، فتنبهت كيم ورفعت الكأس على الطاولة. وشعرت بأصابعه الحديدية تضغط على اصبعها كأنها تريد أن تسحقها.

سألها في شيء من الرقة:

«هل هناك ما تخفينه، يا كيم؟».

حان الوقت المناسب لتتكلم. لكنها لم تكن قادرة على تنفيذ ذلك. ان كريس هنا، في الفندق نفسه. اذا عرف دايف بالأمر، فان الله وحده يعرف ماذا سيكون ردّ فعله، خاصة ان هي أخبرته انه جاء الى غرفتها. ومع ذلك، فاذا سكتت، فانها ستزيد من تفاقم المشكلة.

أخيراً قالت في صعوبة:

«هناك أمر أريد أن اعرضه عليك، ولكن ليس هنا. لنتناول العشاء قبل ذلك».

خيّل اليها انه انتظر دهراً بكامله قبل ان يجيب وهو يحدّق فيها في امتعاض:

«حسناً. لنتعشّ قبل ذلك».

لم تعرف كيم طعم الأكل برغم أنها أجبرت نفسها على أن تأكل من كل شيء. تمهّلها في الأكل لم يكن يزعج دايف. لكنها، كلما رفعت عينيها ونظرت اليه كانت تراه متشنجاً. وشعرت غريزياً انه يعرف جيداً ان كريس هو المسؤول عن تصرفها هذا. وكان لا شك، يحاول ضبط نفسه، غير مستعجل لمعرفة الحقيقة في الحال. انها مخطئة لعدم قدرتها على مراقبة انفعالاتها وضبطها كما يجب، والا لما كان شعر بشيء. الاشياء هي نفسها، وما ان يخرجا من الفندق، حتى يجبرها على البوح بكل ما عندها.

انتهى العشاء، فخرجا من الفندق الى الشارع المكتظ بالبضائع

المعروضة خارج المحلات والمخازن. لم يسألها دايف عما تريد وهي التي كانت تتوقع ذلك. سارا نحو السيارة وتوجّها خارج المدينة، على طول الساحل، في هذا الليل الرطب والثقيل.

وصلا أخيراً أمام شاطىء البحر المليء بالرمال الناعمة، حيث تمتد أرض واسعة معدّة لرياضة الغولف. أوقف دايف السيارة على الحشيش الأخضر، وتناول سيكارة.

«حسناً. والآن، قولي كل شيء».

وجدت أمامها من جديد دايف كما عرفته. الرجل الذي لا يراوغ بل يذهب الى الهدف مباشرة. أسندت كيم كتفها على باب السيارة، لا تعرف كيف ومن أين تبدأ. واخيراً قالت:

«كريس يواجه مشكلة عويصة».

أجاب في حدّة:

«لقد تصورت ذلك. هل قبض عليه زوج ماي؟».

أجابت وهي ترتعش برغم الحرارة العالية:

«تقريباً. هل سيؤذيه حقاً اذا وجده؟».

«نعم. سيحاول أن يؤذيه الى حد يجعله يتأكد من أن كريس لن يحوم حول امرأة أخرى لمدة طويلة. في حالات كهذه، الشعب هنا لا يتصرف كما يتصرف الشعب المتمدن. انهم ما زالوا يؤمنون بشريعة الثأر».

احتجت قائلة:

«لكنه لم يكن وحده مسؤولا. لقد ذهبت ماي معه بملء ارادتها وهذا يجعلها هي كذلك مسؤولة».

«هذا خارج الموضوع. هل طلب منك مالا؟».

عضت كيم على شفتيها:

«نعم...».

«وهو يأمل في أن تؤمّني له المال، أليس كذلك؟ وبالتالي أن تطلبيه مني؟».

«نعم...».
خيّم الصمت وشعرت كيم بأن أعصابها على وشك الانهيار، لكنها تمالكت نفسها فقال لها:

«وما هو السبب الذي جعله يعتقد بأني سأكون على استعداد لأن أمده بالمال كي يهرب؟».

«ليس هناك أي سبب، لكن، فقط، لأننا متزوجان، وفكّر...».

قاطعها دايف قائلا:

«وفكّر انه بعدما أعطيتك كل شيء، لا يمكنني أن أرفض لك شيئاً. طبعاً، لم تشرحي له تدابيرنا المؤقتة، على ما أظن... لكنني تصورت انك تعرفينني الآن جيداً وتعرفين اني لا أقبل بتاتاً بأن أساعده. انه يستحق ما يحصل له الآن، وأنا لست مستعداً لأقدم له أية مساعدة، مهما كانت».

تشنجت يدا كيم على ركبتيها:

«سوف أرد لك المال».

فهزّ حاجبيه وقال:

«كيف؟».

الكلمات التي ستتفوه بها كانت من أصعب الكلمات التي سبق لها ان نطقت بها.

«سأكون... كما تريدني أن أكون».

«تقصدين أنك مستعدة لبيع نفسك كي تنقذي كريس».

«نعم. اذا كنت تنظر الى الأشياء بهذا المنظار».

«كيف تريدين أن أراها اذن؟».

سحق بأصابعه طرف سيكارته المشتعلة، ثم رماها من نافذة السيارة، في حركة غاضبة.

«بعد كل ما فعله بك، كنت أظن أنك ما تزالين محتفظة بكرامتك، فتعمدين الى طرده».

«انا لا أحبه كما خيّل اليك. لكن ليس باستطاعتي ان أبقى لامبالية وأتجاهل كونه في حاجة الى المساعدة. لقد خيّل لي انك لن تقبل مساعدته من دون مقابل».

قال بقسوة:

«ماذا سأنال بالضبط لقاء المال الذي سأقدمه؟».

تنفست كيم الصعداء.

«اعتقد أني لست بحاجة الى أن أشرح لك ذلك».

«كلا. بالفعل».

رفع دايف يده فجأة ووضعها على ذقن كيم ليجبرها على أن تلتفت اليه. كانت عيناه كالحديد.

«لنضع النقاط على الحروف، اذا سمحت. انك لا تقومين بأية تضحية يا كيم. ما تعدين به، ليس سوى ما تحلمين أن تقدميه لي منذ الليلة الاولى. لكن، اذا كان يناسبك أكثر أن تقولي انك ستفعلين ذلك من أجل ادامس، فلا تنزعجي. لا أبالي بما تقولين لنفسك، ما كنت سأجد أمامي امرأة حقيقية، بدلاً من فتاة بريئة».

راح دايف يعانقها بشدة وشغف جعلها عاجزة عن التفكير بأي شيء. أمضت الأيام والليالي محاولة ضبط انفعالاتها، لكنها الآن تركت العنان لمشاعرها وأحسّت بارتياح رائع. وبالرغم منها، وضعت ذراعيها حول عنق دايف، وغرزت أصابعها بشعره الكثيف. فالمشاعر المكبوتة انفجرت كالشعلة».

ولما أبعدها عنه فجأة، اعتقدت انها تغوص في الماء المثلج. كانت ركبتاها ترتجفان وهي تنظر اليه في العتمة وشعرت بتغيير في مزاجها من دون ان تفهم شيئاً.

«دايف؟».

تحرك وحوّل نظره عنها وأدار محرك السيارة. وقال في قسوة:

«لا تقلقي. سيحصل ادامس على ماله. لكن بعد هذا، لا أريد أن أسمع اسمه على شفتيك. هل فهمت؟».

www.liilas.com/vb3

لم ترد. لا جدوى من الكلام. وخلال لحظات الانفعال تلك، لم تكن تعرف ما بدأت تتمناه، لكن تصرّف دايف كان يقتل هذا الشعور المفاجيء. انه يجهل كل شيء عن الحنان. لقد عقد صفقة وهذا كل ما يعنيه. ان في امكانها أن تقول هي ايضا ان ذلك ينطبق عليها، كما ينطبق عليه، لكن في أعماق قلبها، تعرف جيداً ان ذلك ليس حقيقياً. كانت تتمنى لو ان ذلك حقيقة.

www.liilas.com/vb3

٦ - غابة الأشواق

صباح اليوم التالي، اصرّ دايف على أين يرى كريس بمفرده، وما ان ارتدى ثيابه حتى توجه الى غرفة كريس وظل غائباً مدة ساعتين، بقيت خلالها كيم متشنجة، جالسة قرب النافذة تراقب الشارع، حيث ذهب الرجلان. لم تكن تعرف كيف سيحصل دايف على هذا المبلغ الكبير من المال، خصوصاً ان اليوم هو يوم احد، وكل المصارف مقفلة، ولم تجرؤ على ان تسأله ذلك.

اخيراً شعرت بارتياح كبير عندما رأت شبح دايف يظهر في الشارع المزدحم.

عندما دخل دايف الى الغرفة، كانت كيم تضع في حقيبتها الفستان الذي ارتدته بالأمس. رفعت عينيها بحماس نحوه، ثم

حولتهما في الحال، لأنها لم تكن مطمئنة تماماً لتطرح عليه السؤال الذي يرتجف على شفتيها.

قال:

«انه الآن على متن الباخرة التي ستذهب الى دكار. ولن نراه بعد الآن. هل تناولت فطور الصباح؟».

هزت كيم رأسها وقالت:

«انني انتظرك».

«هذا لطف منك. بعد الفطور نتوجه الى الشاطىء. واذا اخذنا معنا الطعام البارد، ففي امكاننا قضاء النهار كله والعودة الى هنا للعشاء قبل ان نأخذ طريق العودة».

تناولا الفطور في جو متوتر. لم يقم دايف بأي جهد لتخفيف حدة الانزعاج التي تلوح بينهما مثل سحابة حقيقية. ولما خرجا من الفندق، كانت الطريق مزدحمة بالناس، وعلى وجوههم امارات الفرح والغبطة. وفي الجو هبوط وانحطاط، وهذا الجو الكسول تتميز به كل المدن الاستوائية. العشب يتموج بين احجار البلاط في الشوارع المظللة باشجار كثيفة. ومجاري المياه العريضة تحيط بجانبي الطريق، التي تتحول الى سيول عندما تهطل الامطار.

توجها نحو الشاطىء الذي عبرا منه وتوقفا عنده مساء امس بعد العشاء. كانت تحتشد فيه مجموعات عديدة من الناس، من جميع الجنسيات. هزت كيم رأسها عندما اقترح عليها دايف ان تغطس في المياه وتسبح بعض الشيء قبل تناول الغداء، وبعد الغداء يمكنها ان تسبح ما فيه الكفاية. لكنها رفضت وفضلت البقاء على الشاطىء، بينما نزل دايف وراحت تتأمله وتراقب الرؤوس التي تلفتت صوبه. انه يلفت انتباه النساء، من دون ان يقوم بأي جهد!

وبدا مسترخياً عندما عاد من سباحته وتمدد على الرمال قربها. وقال بعد ان اشعل سيكارة.

«كان عليك ان تغطسي وتسبحي قليلاً. ان الماء رائع. هل

تجيدين السباحة؟».

اجابت كيم بأنها تعرف السباحة، لكنها لا تسبح كما يجب. ادركت كم يجهلان بعضهما البعض. انهما متزوجان ويعيشان كزوج وزوجة، ومع ذلك فما زال كل منهما يجهل الآخر. لا شك في ان ذلك افضل. وعندما يأتي موعد الانفصال، ستكون هناك ذكريات قليلة لن تلبث ان تنساها. . . اذا كان بامكانها ان تنسى.

سألته بعد برهة:

«هل ما زلت تتذكر وعدك في ان تؤمن لي سيارة، عندما نعود الى المنجم؟».

أجابها من دون ان يفتح عينيه:

«نعم، اذكر. بعض التمارين ضرورية لك، من اجل المستقبل».

«المستقبل؟».

«عندما آخذ اجازتي. قررت ان اسافر وأزور بعض المدن، قبل العودة الى انكلترا. يمكننا ان نذهب الى الجنوب ونستقل الباخرة في لاغوس».

بقيت كيم مسمرة، جامدة، ناسية ان في يديها رمالاً تنسل بين اصابعها. فقالت:

«وهل تريدني ان ارافقك».

«طبعاً. ماذا تريدين ان افعل غير ذلك؟».

«يمكنك ان تدعني اسافر وحدي».

فتح عنيه الرماديتين ليتفحص وجه كيم وقال:

«اهذا ما تفضلينه؟».

هل هذا فعلاً ما ترغبه؟ كانت كيم عاجزة عن ان تجد جواباً على سؤاله. من جهة، ستحصل على الحرية، ومن جهة اخرى، المدة الطويلة، التي ستقضيها برفقة رجل لا يشعر تجاهها بأية عاطفة، ما عدا الرغبة، التي تنتهي بالضعف والاحتقار.

www.liilas.com/vb

سألته:

«هل امامي اي اختيار؟».

رأت ظل ابتسامة ترتجف في زاوية شفتيه:

«لا. ليس لديك اي اختيار الى الآن. عندما. . .».

والتفت دايف نحو الصوت:

«آه. الآن اعرف سبب اختفائك، يا دايف!».

التفتت كيم بحماسة وشاهدت رجلاً ينظر اليها بعينيه الزرقاوين في اعجاب صريح:

ثم عاد الرجل ليقول مرة ثانية:

«اني افهم تماماً انك تريد ان تحافظ عليها لنفسك فقط. لكن، بما اني هنا الآن، فإني اطلب منك ان تقدمني اليها».

انتصب دايف وعلى وجهه تعبير غريب لا يتميز به غيره.

«كيم، اقدم لك رالف تات. رالف، هذه زوجتي».

سبق لكيم ان قرأت في احدى الروايات عبارة تقول: «وقف الرجل فاغر الفم»، لكنها للمرة الأولى ترى ذلك يحدث في الواقع، فوجىء الرجل حتى الذهول، لكنه تمالك نفسه بسرعة وقال مستغرباً:

«الآن، سمعت كل ما اريد. واخيراً جاء من يحجزك!».

العينان الزرقاوان الفاتحتان حدقتا من جديد في كيم، كأنهما تؤكدان لها ما يشعر به تجاهها.

«يمكنني ان اقول لك انك ستجدين نفسك مكروهة في بعض الاماكن. هناك كثيرات حاولن التسلط عليه! كيف فعلت انت لتظفري به؟».

قاطعه دايف:

«دعنا منك ومن اقوالك، يا رالف. هل انت وحدك؟».

اشار رالف برأسه الى اعلى الشاطىء:

«كلا. البقية هناك. كنت انوي ان اغطس في البحر، عندما

شاهدتكما. ان كارين معنا. يا للصدفة، كانت تتحدث عنك مساء امس».

همس دايف غير مبال:

«صحيح؟».

«نعم. اسمع، لا يمكنك مغادرة المكان من دون ان تحيي الجميع. لماذا لا تتناولان طعام الغداء معنا؟ انت تعرف ما تحضره بياتريس من مأكولات باردة كلما جئنا الى البحر. هناك ما يكفي لكما».

دايف لم يرد، فقالت كيم في صوت متردد:

«احضرنا معنا غداءنا».

«عظيم، هذا احسن. سنضيفه الى ما معنا، ونأكل سوية».

التفت رالف الى دايف، في فضول مفاجىء:

«ما بالك يا عزيزي. ان شهر العسل ليس ابدياً. انني متأكد ان كيم ستكون مسرورة للتعرف الى اصدقائك».

وقف دايف اخيراً، وهو ينفض الرمل عن سرواله القصير المبلل، ولم ينظر الى كيم.

«اتفقنا. قل لهم اننا آتيان بعد ان ننتهي من توضيب اغراضنا».

بعدما ذهب رالف، راحت كيم تطوي المناشف، شاعرة بالتوتر الذي اصاب تصرفات دايف. فسألته بعد ان وضعت كل شيء داخل حقيبة البحر:

«من هم هؤلاء الناس؟ وكيف تعرفت اليهم؟».

«رالف يعمل في تجارة الخشب الثمين، انه مستشار احدى الشركات. لقد امضيت عطلة آخر الاسبوع، مرة او مرتين، برفقته وبرفقة زوجته. وهناك زوجان آخران يرافقانها دائماً. هيا بنا. تعالي!».

كانت المجموعة تنتظرهما تحت ظلال اشجار النخيل. ولدى اقترابهما، راحت الوجوه تعبر بانفعالات مختلفة. وانجذبت كيم

للحال الى امرأة بدت انها الأصغر سناً، وذات جمال اسمر جذاب، ترتدي مايوه سباحة اصفر اللون وقد بدا اسمرار بشرتها تحت تأثير اشعة الشمس. كانت ملامحها ناعمة وكلاسيكية، وكانت تنظر الى كيم من رأسها حتى قدميها نظرة حائرة.

قالت موجهة كلامها الى دايف:

«كأننا منذ دهر لم نرك!».

اجابها بارتياح:

«بالفعل. من زمان. كيف حالك؟».

«جيد جداً».

تفحصتها كيم من جديد ورأت في عينيها الزرقاوين لمعاناً مميزاً.

«هل تعرفني الى زوجتك؟».

«لا احب الرسميات».

وضع يده على كتف كيم وجذبها نحوه:

«هذه كارين. والمرأة التي تحمل السلة الكبيرة، هي بياتريس. رالف، سبق أن عرفتك اليه منذ لحظة. ثم هنا فيدا ونوريس. والآن اذهبي واجلسي مع الفتيات. انهن غير مؤذيات».

انفجرت بياتريس في الضحك وبدا ان ذلك لا يليق بها، فهي ذات شعر ابيض، مموج بالأزرق، وقامتها بدينة. تبدو في الاربعين من عمرها، لكن الشيب غزا شعرها قبل الأوان.

«اننا في شوق اليك، يا دايف. هل تعرف ذلك. انك الرجل الوحيد الذي يعرف كيف يحول الشتيمة الى مديح».

ثم التفتت الى كيم ونظرت اليها:

«لا بد انك تجدين صعوبة في فهم هذا الصبي!».

تدخلت كارين في الحديث قائلة:

«ربما تجده كيم سهلاً في تفهمه. يبدو عليها انها قادرة على ذلك. هل صحيح ما اقوله؟».

كان السؤال موجهاً مباشرة الى كيم. وبطرف عينها، رأت كيم ان

دايف الجالس قرب نوريس، سيسمع ما يكون ردها. فأجابت:

«اني اتعلم ان افهمه».

سألت بياتريس دايف:

«كيف تعرفت الى كيم؟ كنت اعتقد انك محجوز في المنجم!».

اجابها دايف غير مبال:

«صحيح كنت محجوزاً في المنجم. ان كيم تعمل في الشركة».

قال رالف مستغرباً، لكن من دون ارتياب:

«لم اكن اعرف ان الشركة بدأت تستورد النساء وتشغلهن في المناجم. يمكن القول ان ذلك خطوة تقدمية من جانب الشركة. وعلى ما اظن، لم يبق امامك الكثير، لأنهاء عقدك مع الشركة، اليس كذلك؟».

«كلا».

لم يكن دايف يريد ان يطيل في الحديث عن هذا الموضوع.

صرخت بياتريس وهي مستغربة تماماً:

«وخلال هذا الوقت، تعيشين في المنجم، يا كيم! يا الهي، ماذا يفعل الحب بالنساء!».

شعرت كيم بنظرات دايف الساخرة وقامت بجهد كبير كيلا يعتريها الخجل. اذا عرف هؤلاء الناس الحقيقة، فإنهم لن يصدقوها، من دون شك. فمن يصدق مثل هذه الحقيقة؟ ليس في الأرض امرأة تتحلى بالعقل والمعرفة، يمكنها ان ترى في دايف الرجل الذي تعرفه هي.

اذا كان دايف قد ابتهج بقضاء بعض الوقت بين اصدقائه، فان كيم لم تكن كذلك، برغم انها حاولت ان تبدو طبيعية. كانت كارين تجلس قربها، وتقدم لها الدجاج، وتحدثها بحماس عن الناس والحوادث التي لم يسبق لكيم ان عرفتها. وبدا واضحاً ان بين دايف وكارين علاقة حب قديمة. حاولت كيم عدم التفكير بذلك. فهذا ليس من شأنها. لكنها لم تكن قادرة على ان تمنع نفسها من التعجب

من لامبالاة كارين الظاهرة تجاه دايف، وهي ما زالت منجذبة اليه بشكل كبير. لو انقلبت الادوار، لما استطاعت كيم المحافظة على برودة اعصابها.

بعد الساعة الثالثة، اقترح احد الحاضرين السباحة. نهضت كيم فوراً سعيدة لأنها ستتخلص من هذا الوضع المزعج والمتأزم. وما ان غطست في الماء حتى ابتعدت عن المجموعة وراحت تسبح في اتجاه الصخرة الكبيرة القريبة من شاطىء البحر، التي شاهدتها الى يمين الخليج. فكرت انها هناك بامكانها الاستراحة والحصول على الوحدة المنشودة.

كانت الصخرة ابعد مما كانت تتصور. ولم تكن قد اجتازت نصف المسافة عندما شعرت بعضلات قدميها تتشنج، وبيديها تثقلان. تركت نفسها تعوم لبرهة وتستعيد نفسها، محاولة الا تضطرب وتفقد السيطرة على اعصابها. وادركت انها ذهبت بعيداً ابعد مما يمكن ان تتحمله قواها، في بحر يحتوي كل انواع المخاطر الممكنة والمجهولة. الصخرة تبدو بعيدة وكذلك الشاطىء. واجتاحها الذعر وهي تعرف ان ليس في امكانها التوجه الى اي من الاتجاهين. انها لا تتمتع بالقوة الكافية لذلك.

ما العمل؟ وقبل ان تصل الى حل، اقترب دايف منها. فطلب منها الاسترخاء والتمسك بذراعيها حول كتفيه والاستسلام كلياً. بدا الوقت طويلاً قبل ان يصلا الى الشاطىء لتشعر كيم بالرمال تحت قدميها. لم يتركها دايف نهائياً. فقد حملها الى أن وصلت الى الشاطىء. ثم نظر اليها وهو يلهث وسألها في غضب:

«ماذا كنت تفعلين هناك؟ قلت لي انت بنفسك انك لا تسبحين جيداً، ولماذا ذهبت بعيداً هكذا؟ انك تستحقين. . . .».

سكت فجأة، عندما شاهد بقية المجموعة تصل، فسألت نوريس:

«ماذا جرى؟ هل اصابها تقليص؟».

اجابت كيم واسنانها تصطك بالرغم منها:

«ذهبت بعيداً، اكثر مما يجب. هذا كل شيء. والآن، اني في صحة جيدة تماماً».

قالت بياتريس:

«انت صفراء كالموت».

ثم التفتت الى دايف واضافت:

من الأفضل ان تأتي مع كيم الى المنزل، حتى تستعيد نشاطها وعافيتها. الصدمة تكون احياناً دقيقة».

احتجت كيم:

«ليس هذا ضرورياً. ما علينا الا ان نعود الى المدينة، لنأخذ امتعتنا قبل العودة الى المنجم».

تدخل دايف قائلاً:

«يمكننا ان نفعل ذلك بعدما ترتاحين قليلاً. ان بياتريس على حق، لقد شعرت بالخوف، وانت بحاجة لتتمددي قليلاً. لدي متسع من الوقت قبل العودة. شكراً يا بياتريس، اننا نقبل دعوتك».

قالت بياتريس وهي تلحق بهما:

«سأقول لكما ماذا سنفعل. دايف يذهب ويجلب الامتعة من الفندق، بينما تكون كيم قد استراحت. ثم تتناولان العشاء معنا. ومن ثم تذهبان. وهكذا تكونان قد قطعتما نصف الطريق».

كادت كيم ان تصرخ «لا تدعني وحدي مع هؤلاء الناس».

لكن دايف كان قد وافق على العرض حين قال:

«فكرة حسنة. هذا ما سأفعله».

توجه الجميع الى سياراتهم. وكانت كيم وحدها في سيارة دايف، فهمست تقول:

«افضل ان اذهب معك واتناول العشاء في الفندق كما اتفقنا. اني في حالة جيدة».

«لن اصدق ذلك الا متى استرجعت لون بشرتك. في كل حال،

سبق ان قبلت الدعوة. . . لماذا تتصرفين هكذا؟ كنت اعتقد انك تفضلين ان يكون لك اصدقاء».

رفعت كيم ذقنها:

«لم اقل ذلك».

«اسمعيني. سواء اعجبك ذلك ام لا، سنتناول العشاء عند آل تات. اذن، ما عليك الا ان تحاولي ان ترتاحي لتستعيدي نشاطك. لا اعرف لماذا لم يعجبوك. . .».

قاطعته من دون ان تفكر بما تقوله:

«لست اعني عائلة تات. . . انما. . . آه. . . كارين ستكون هناك، على ما اظن؟».

غمز دايف بعينه:

«وما دخلها في الموضوع؟».

ومضت برهة قبل ان تجيب كيم:

«انها معجبة بك».

فابتسم دايف وقال:

«وماذا يعني ذلك؟ اتريدين ان تقولي لي انك غيورة؟».

«لا. لست غيورة! لكن لا احب ان يعاملني الاخرون كأنني غير موجودة. ربما في الماضي كانت لها حقوق تجاهك. . .».

اجاب دايف متشنجاً:

«لا تذهبي في تخيلاتك بعيداً. ليس ثمة امرأة يمكن ان يكون لها حقوق تجاهي، ولا حتى انت. اذا كانت كارين تعاملك كما قلت، فهذا خطأك. ماذا تريدين مني ان افعل؟».

صرخت فيه غاضبة:

«لا شيء. واني متأكدة تماماً من ان هذا الوضع يسعدك! لقد حاولت اقامة علاقات عاطفية مع كل امرأة اعجبتك، من دون ان تشكل هذه العلاقة خطراً على حياتك الخاصة، من اي جانب كان. ولا غرابة في انك ترغب في تمديد علاقتنا! انها لا شك رائعة لرجل

www.liilas.com/vb3

مثلك!».

نصحها في صوت خفيض:

«اعتقد انه افضل لك ان تسكتي. ما قلته حتى الآن يكفي!».

سكتت كيم على مضض خوفاً من المضاعفات. كانت اعصابها متشنجة وهي تنظر الى الطريق امامها. انها تعي تماماً تشنج يدي دايف على المقود. جف حلقها وشعرت بكآبة واختناق في صدرها. لا شك ان دايف أقام علاقة عاطفية مع كارين. ان ردة فعله تؤكد ذلك. وتساءلت: وماذا بعد؟ هل هذا يغير شيئاً؟ لم يحاول دايف ابداً ان يخفي احتقاره للجنس اللطيف عامة، الا اذا كانت هناك مصلحة معينة. والظاهر ان كارين فهمت انها لا تعني الكثير في نظر دايف. لماذا اذن تضع نفسها في مثل هذا الحال. ان دايف لا يستحق عذاب الحب ولا حتى الشفقة!

كان منزل آل تات يقع على ارتفاع لا بأس به عن سطح البحر، وهو يبعد مدة عشر دقائق من شاطىء البحر. والمنزل كبير مربع مبني من الحجارة المصقولة، تحيط به شرفة من ثلاث جهات. وعلى جانبي الطريق اشجار المانغو الكثيفة والمليئة بالثمر. الأزهار الغامقة تلمع كاللآلىء في الأدغال. وامام المنزل المؤلف من طابق واحد ترتفع مختلف الوان الاشجار. اللون الاصفر لشجر الاكاسيا، واللون البنفسجي الغامق لأشجار الغوافة، واللون النحاسي للورد الهندي. كان الجو عابقاً بعطر الياسمين الهندي، لكنه كان حاراً.

داخل المنزل كان الجو منعشاً وشعرت كيم لدى دخولها احدى الغرف التي من المفروض ان ترتاح فيها، بأن العتمة شيء رائع بعد حدة الشمس ونورها القوي كانت ترتدي مئزرها فوق مايوه السباحة المبلل وشعرها لا يزال رطباً. شاهدت نفسها في المرآة واستغربت حالتها: كان وجهها شاحباً وشعرها ينسدل على نحو محزن على كتفيها. وبدأت تشعر بصداع خفيف. ان بياتريس على حق. انها تعاني ردة فعل الرعب والهلع. لكنها عندما تفكر بتلك اللحظات

القصيرة التي امضتها في الماء، تدرك انها تصرفت كالحمقاء. اذ لم يكن هناك اي خطر. كان عليها ان تسبح على ظهرها حتى تستعيد تنفسها وقوتها ثم تسبح حتى الشاطىء. انها المرة الثانية التي يضطر فيها دايف الى انقاذها من وضع تافه تعتبره خطراً لأنها تفقد توازنها. اما هذه المرة، فلم يفرح للأمر ابداً.

كانت قد انتهت من ارتداء ملابسها عندما دخل دايف الغرفة حاملاً فنجاناً في يد وفي اليد الاخرى دواء. وقال لها:

«هذا شاي وحبة مسكن. ان الساعة الآن الرابعة والنصف. يجب ان تحاولي التمدد والنوم، بينما اذهب الى الفندق لأجلب امتعتنا».

احتجت كيم متشبثة برأيها:

«لا اريد مسكناً. وسأتمدد قليلاً اذا كنت تعتبر ذلك ضرورياً. اني لا اشكو من شيء، ومتى اخذت حماماً يتحسن وضعي».

«يمكنك ان تأخذي حماماً عندما اعود حاملاً اغراضك».

وضع الشاي على الطاولة قرب السرير ووضع في كفها حبتين من المسكن قائلاً:

«يبدو انك في حاجة الى هذا المسكن، سيساعدك على الاسترخاء والنوم. خذيه مع قليل من الشاي».

اخذت كيم الدواء وتجرعته بعد ان شربت قليلاً من الشاي الساخن، ثم تمددت وادارت وجهها الى الجهة الثانية.

فقال لها:

«سأراك عما قريب».

غادر الغرفة بعدما اغلق الباب محاولاً الا يحدث اية ضجة.

كان الليل قد حل عندما استيقظت كيم من نومها العميق. نهضت وعيناها ترفان على نور المصباح الكهربائي. ربما جاء احد واشعله بينما كانت نائمة. كان ثوبها الأزرق موضوعاً بتأن على الكنبة، وحقيبتها مفتوحة وموضوعة على كرسي. كان باب الغرفة

مقفلاً، لكنها سمعت ضجة اصوات مخنوقة، ثم ضحكة امرأة.

نظرت الى ساعة يدها. انها السابعة. الصداع خف ولم تعد تشكو من اي ارهاق. وهي قادرة، على الأقل، ان تواجه ما تبقى من هذا اليوم الطويل. رفعت شعرها عن جبينها. ليس امامها سوى طعام العشاء، ثم يحين الوقت للذهاب الى المنجم. فهي مشتاقة الى العودة على احر من الجمر.

قالت لها بياتريس ان الحمام يقع قرب الغرفة. فخلعت كيم قميصها ووضعت مئزرها الأزرق وخرجت. لم تلتق احداً في الممشى المبلط. كان الصوت آتياً من غرفة الجلوس، في الطرف الآخر. وعرفت صوت رالف الحاد، وصوت فيدا ترد عليه. وتساءلت اين يكون دايف. شعرت بنشاط بعد الحمام. كانت تفضل لو كان في امكانها غسل شعرها، لكنها اكتفت بفركه بماء الكولونيا. وفي الغرفة ارتدت فستانها وانتعلت حذاءها الأبيض، ثم سرحت شعرها وعقدته حول رقبتها ووضعت الزينة على وجهها. وبعد نظرة اخيرة امام المرآة، خرجت من الغرفة لتلتحق بالآخرين. دايف كان اول من شاهدته وهي تدخل الى غرفة الجلوس الواسعة. كان واقفاً امام اناء زرعت فيه شجرة نخيل، ومعه كارين. كانت المرأة السمراء الرائعة تتأبط ذراعه وتحدثه في صوت منخفض، وهي تبتسم. وكان دايف فرحاً ومسترخياً.

قالت بياتريس عندما شاهدت كيم مترددة في الدخول وهي على عتبة الباب:

«آه. ها أنت! هل تشعرين بتحسن؟».

«نعم. شكراً. لا شك اني كنت متعبة للغاية. لقد استغرقت في النوم».

«نعم. قال لنا دايف انك لم تشعري به عندما ذهب ليبدل ثيابه. ورأى انه من الأفضل ان تستيقظي وحدك بصورة طبيعية. لذلك فقد اتفقنا على ان تمضيا الليلة هنا. وتغادرا صباح غد. تعالي واجلسي.

سيقدم لك رالف الشراب».
سألها رالف:
«ماذا تحبين ان تشربي؟».
عرفت ان دايف يراقبها. فهي تشعر بنظراته، لكنها رفضت الالتفات اليه:
«عصير الليمون الأخضر، مع بعض الثلج».
وبعد قليل كان الكأس في يدها ورالف يقول:
«هيا. اشربي!».
تناولت جرعة وشعرت بمرارة الليمون. فندمت على اختيارها ولكنها عرفت انه لا يجوز ان ترفض ما طلبته. كانت ممتنة لنوريس لأنها ابعدت عنها انتباه رالف، عندما طرحت عليها سؤالاً معيناً حول عملها. فاستفادت من هذه الفرصة لتضع كأسها على طاولة صغيرة قرب مقعدها محاولة الابتسام. فجأة ظهر دايف امامها. وجلس على مسند المقعد ومد ذراعه على ظهر المقعد. كانت كيم تعي جيداً قربه منها. فشعرت انها بحاجة الى ان تقترب منه اكثر. فلا جدوى من انكار الأثر الذي يحدثه وجوده قربها. لا يمكن لأية امرأة ان تبقى غير مبالية تجاه دايف نلسون، حتى وان كانت تكرهه، كما تفعل هي. توقف عقلها عن التفكير فجأة. الكره؟ هل هذا فعلاً ما تشعر به تجاهه؟ هل من المعقول ان تكره رجلاً، اكتشفت كل الانفعالات بين ذراعيه؟
كانت كارين جالسة في مواجهتها وعندما تلاقت نظراتهما، شعرت كيم من جديد بحمقها وخجلها. فتركت رأسها يسقط الى الوراء ويستريح على ذراع دايف، وادارت وجهها قليلاً بحيث لمس خدها كم قميصه. وهو، من دون مبالاة، وضع يده على كتفها، في حركة امتلاكية. لم يعد يهمها ان هو تصور اموراً عديدة، فهي زوجته، اياً كانت الظروف ومهما قصر الزمن. حان الوقت لكارين ان تفهم ذلك.

بالصدفة، او بتخطيط من بياتريس، جلس دايف الى مائدة الطعام بين كيم وكارين. وفهمت كيم من خلال الحديث الذي تداولته كارين مع دايف، ان الفتاة تبدو مرتاحة للحديث مع دايف اكثر مما يمكن لكيم ان تصبح يوماً ما. لا شيء يزعج كارين. وكانت كيم تحسدها لقدرتها على امتلاك اعصابها.
عاد الجميع الى غرفة الجلوس لتناول القهوة. جلست كيم قرب الباب وراحت تتأمل الليل وأزيز الصرصار، وتستنشق رائحة ثمر المانغو المتساقط عن الشجر، وقد اختلطت رائحته بعطر شجر البرتقال والأناناس الذي حمله النسيم الآتي من الوادي. من بعيد كانت تسمع اصوات الطبول الايقاعية الآتية من الأدغال.
لحق بها رالف وانحنى على مسند مقعدها كما فعل دايف. وهمس:
«هل تعرفين يا كيم انك تحيرينني. لست سوى مجموعة متناقضات. في الظاهر، تبدين هادئة، ومتوازنة، وفجأة تتصرفين بطريقة مزاجية، مثلاً تطلبين شراباً ثم تكتشفين انك لا تحبينه. وفي هذه اللحظة بالذات، عندما نظرت الي، ظهرت في عينيك شعلة خضراء، اختفت حين تأهبت للدفاع. ماذا يجري؟».
اجابت في لهجة خفيفة:
«لا شيء. انني آسفة لأني لم اشرب العصير الذي طلبته منك. لا شك في ان هذا تصرف تافه. ها انا اشرب القهوة الآن».
«لا اريدك ان تشربي العصير، انا اتحدث عنك. وما اريد ان اعرفه، هو كيف جئت الى هذه البلاد».
اجابت ببساطة:
«سبق لدايف ان اجاب عن هذا السؤال».
«اني اعرف ما قاله دايف، وهو يكذب كما يتنفس. . ليس هناك شركة منجمية في هذه المنطقة توظف النساء، وخاصة فتاة مثلك. ان ذلك يؤدي الى مشاكل رهيبة».

www.liilas.com/vb3

«اؤكد لك ذلك. اني اهتم بقسم المحاسبة وأهيىء بطاقات الأجور».

تفحصها رالف فترة، وعيناه تتموجان، ثم ابتسم وهو يهز رأسه.

«الأمر يختلف. لأنك زوجة دايف نلسون، اما الباقي فلا اصدق منه شيئاً... اني الاحظ انك لا تضعين خاتم الزواج».

«لا. نحن... لم يكن لدينا الوقت...».

شعرت بأنه تمادى كثيراً معها، ان امورها لا تتعلق به، لكن فجأة قررت كيم ان تقول له شيئاً من الحقيقة.

«الحقيقة اني جئت الى افريقيا للالتحاق بخطيبي، واكتشفت انه يعيش مع امرأة اخرى ولذلك تزوجت من دايف».

قال باستغراب:

«هكذا اذن! لم تضيعي وقتك. لا شك في انك فتاة غريبة، يا كيم! هل تعتقدين ان في امكانك الحفاظ عليه؟».

التفتت كيم جانباً وقالت:

«اني زوجته».

«في هذا البلد هذا لا يؤمن لك حماية كافية. من الأفضل ان تصحبيه الى انكلترا في اسرع وقت ممكن. على الأقل هناك يمكنك ان تدافعي عن حقوقك اذا سارت الأمور على عكس ما تتمنين!».

تساءلت كيم اذا كان دايف لا يحبها بالفعل. في كل حال، ان رالف يبدو وكأنه يعرف ان زواجها مؤقت.

قالت محدثة حركة صغيرة بذقنها:

«سوف اتغلب على المشاكل عندما تحصل. هل في امكاني الحصول على مزيد من القهوة؟».

كانت كارين جالسة قرب دايف على الاريكة، تتكلم معه في حماس واضعة يدها على ركبته. لا شك ان رالف سيخبرها بالقصة في اول مناسبة. ويبدو ان كارين مقتنعة بأن زواج دايف لا يسبب اية مشكلة. فالوقت يزيل كل المشاكل. وتساءلت كيم ما اذا كانت

كارين تعرف ان دايف ليس مستعداً للعودة الى سيراليون، بعد قضاء عطلته في انكلترا.

كان دايف هو الذي وضع حداً لهذه السهرة معتذراً لأنه مضطر الى الرحيل باكراً. وفي غرفته، خلع سترته وعلقها، ثم فك ازرار قميصه قائلاً:

«رالف وأنت، كنتما تبدوان في انسجام تام. ماذا كان يخطط؟».

«كان يريد الثرثرة فقط».

«وعمّ كان موضوع حديثه؟».

فكت ربطة شعرها ونفضته وحررته:

«عنك، وعني».

كان دايف يراقب كيم من خلال المرآة.

«ماذا قلت له؟».

«الحقيقة. رالف ليس أبله. لقد شعر ان زواجنا ليس زواجاً حقيقياً».

www.liilas.com/vb3

كانت ابتسامة دايف العريضة مفاجئة:

«صحيح؟ وماذا يشكو زواجنا؟».

علق سحاب فستانها، فحاولت سحبه بقوة وهي تقول:

«ربما هذا موضوع تسلية بالنسبة اليك، لكني لا ارى موجباً لكي يعتبرني اي انسان مثل مومس».

«توقفي عن شد السحاب بهذه القوة والا مزقت الفستان».

«لا بأس. تشتري لي فستاناً اخر غداً».

تقدم دايف ليساعدها، فشعرت كيم باصابعه تمتد حول عنقها، فانتفضت كما يحصل دائماً عندما يلمسها:

«دايف.. قلت انك لن تذهب الى انكلترا مباشرة بعد ان تغادر المنجم...».

«وقلت انك ستأتين معي. سأصطحبك الى انكلترا متى اشاء. اذن فلا جدوى من اضاعة الوقت وتقديم اقتراحات اخرى».

كانت تراه في المرآة، واقفاً وراءها طويلاً، متيناً، وملامحه مشدودة. هل هو زوج ام عشيق ام حبيب؟ انه لغز. . . فقد قال: «لا تحاولي ان تطلبي مني ان ادعك ترحلين». ستطيعه اذن. ومن الآن فصاعداً ستعيش يومها من دون التفكير في المستقبل، اذ مهما سيحدث في المستقبل، فإن دايف يريدها الآن، ويرغب فيها. وهذا هو المهم.

٧- جرافة الحب

www.liilas.com/vb3

استمرّت الحياة على طبيعتها داخل المنجم، ولم يحدث أيّ تغيير مهمّ. الجميع يعملون، ويأكلون وينامون، ثم يعيدون الكرّة في اليوم التالي. لكن، السيارة التي تنتظرها كيم غيّرت حياتها اليومية الروتينية بعض الشيء. وعندما قدّم لها دايف المفاتيح فان اول ما فعلته هو انها ادارت السيارة وراحت تتجول حول المكان الذي تعيش فيه، رغم أنّ الامطار التي هطلت بالامس جعلت الطرقات خطرة.

وبمساعدة بعض الوصفات التي تذكّرتها، وبقليل من التفكير، نجحت كيم في تحسين وجبات الطعام التي يقوم بتحضيرها باتريك. كان سعيداً جداً ان يدعها تهيّء طعام العشاء بينما يتولى هو وضع الصحون والشوك والملاعق والسكاكين والاقداح، بعد ان اتفقت

معه على ان يخفي عن معلمه نشاطات زوجته في مجال تحضير الطعام. وهكذا كان باتريك يحصد كلمات الشكر والمديح دون ان يقوم بالعمل.

ومساء الجمعة، اقترحت كيم بعد قليل من التردد ان تدعو لوك ومهندسين آخرين الى العشاء، في الغد. وقالت:

«هذا يتيح لهم ان يخرجوا قليلاً من جوّ النادي. قال لوك مرّة انه لم يعد يحتمل الأكل هناك».

«منذ سنتين وهو يقول الكلام نفسه».

تأملها دايف برهة ثم قال:

«يبدو اقتراحك تقدمياً بالنسبة الى طريقة الحياة هنا، مع الاشارة الى انه يستحيل عليهم ان يصطحبوا نساءهم، لأنهم غير متزوجين. الا اذا كنت لا تمانعين في ان تكوني المرأة الوحيدة بين أربعة رجال؟».

اجابت وهي مصرّة على عدم الانصياع لسخريته.

«حدث لي ذلك مراراً. ولا ارى لماذا لا نكون على قليل من التمدّن حتى ولو غاب العنصر النسائي. اذا كنت تبحث عن سبب لدعوتهم، فيمكنك ان تقول لهم انك تحبّ ان تدعوهم الى لعب الورق. كما اني اقترح عليك دعوة كارل جيرهارت، اللاعب الماهر، للانضمام الينا».

قال في شك:

«الظاهر انك تفكرين في كل شيء. وماذا لو انّ الجميع سبق لهم ان خططوا لقضاء عطلة الاسبوع خارج المنجم؟».

«لا. لقد استعلمت عن ذلك. اذن، هل اتفقنا؟».

تناول دايف بعض المجلات وراح يقلّب صفحاتها بلا تبصر:

«افعلي ما ترينه مفيداً».

استطاب الجميع الطعام الذي أعدّته كيم. وكان هذا نجاحاً في الامتحان الذي اجتازته. صحيح ان الرجال الاربعة كانوا منزعجين بسبب اضطرارهم الى ارتداء البزات الانيقة وربطات العنق. وكانوا

جالسين أمام المائدة في غرفة الجلوس الصغيرة، يتصبّبون عرقاً وغير مرتاحين في ملابسهم، مما جعل كيم تندم لأنها لم تطلب منهم المجيء بثيابهم العادية، لكن ربما أصرّوا على ارتدائها برغم ذلك.

بعد انهاء العشاء بدأ الزوار يسترخون، ويفكون عقد ربطات عنقهم، ويرفعون اكمام قمصانهم. وحول طاولة الورق نسي الجميع وجود كيم التي حاولت ان تقرأ وهي جالسة في الاريكة، قرب الباب، لكن احاديثهم المتواصلة ودخان السكائر وقهقهاتهم، كلّها منعتها من التركيز في ما كانت تطالعه. ولم يلاحظها احد عندما نهضت وخرجت تتنشق الهواء.

لم يمر اكثر من خمس دقائق على وجودها في الشرفة، تتنفس رائحة النبات بعد عاصفة بعد الظهر، حين سمعت صوت محرك سيارة آتية من جهة النادي. وبعد لحظة توقفت السيارة امام منزل دايف.

صرخ السائق وهو يطأ الارض الموحلة:

«جئت بالزوار».

التفت وراءه ووضع يديه حول خصر الفتاة الجالسة في المقعد الامامي وساعدها على النهوض من دون جهد ثم حملها ووضعها على الشرفة. قال بعد ان ابتعد عنها:

«انك وصلت يا آنسة!».

نهضت كيم واقتربت، بينما قفز رجل آخر بسرعة ووقف قرب كارين.

قالت كيم بصوت خال من اية رنة:

«مساء الخير، يا كارين. انها... انها مفاجأة».

«أليس كذلك؟».

وعلى ضوء المصباح الغازي، راحت كارين تعاين سروالها الموحل، من جهة القدمين، ثم رفعت وجهها ليشتبك نظرها في نظر كيم. وللحال ابتسمت بسخرية وقالت:

«اعتقد ان كلمة «صدمة» هي الكلمة المناسبة هنا، بدل كلمة

مفاجأة.

«هل دايف هنا؟».

«تقريباً».

ظهر دايف امام العتبة، بعد ان سمع هذه الاصوات. وكما هي الحال دائماً، فانه لا يمكن معرفة بماذا يفكر الآن. كان يتأمل الزوّار الجدد في فضول.

«اليس غريباً القيام بالزيارات في مثل هذا الوقت؟».

أجابها الشاب الذي يرافق كارين:

«لولا العاصفة لوصلنا باكراً. لقد غادرنا بعد الغداء».

وراح السائق يشرح قائلاً:

«كانت الطريق مليئة بالحفر، يا دايف. اكتشفتها وسيارتها موحلة تماماً».

قالت كارين في استخفاف جعل رفيقها يحمّر خجلاً:

«كان اوستن يحاول العودة من حيث جئنا، عندما اكتشفنا ان الطريق غير سالكة».

وأخذ اوستن يدافع عن نفسه:

«لقد سقطت السيارة في حفرة وكان من الصعب اخراجها منها. وكانت الامطار تتساقط بغزارة، فلم اكن قادراً على رؤية اي شيء أمامي!».

قال دايف:

«كان افضل لو توقفت منتظراً هدوء العاصفة. تفضّلا بالدخول، ما دمتما قد وصلتما.

وأنت يا كيم، قولي لباتريك اننا في حاجة الى ماء ساخن».

تردّدت قائلة:

«أليس من الافضل ان يذهبا الى النادي ويأخذا حماماً هناك؟ فمن الصعب التحرك بحرية وراء المنزل، ما داما غير معتادين على ذلك».

«سوف يتدبران أمرهما. لا تقلقي. يمكنك ان تجدي ثياباً جافة

لكارين. وأنا اتدبر امر زائرنا».

ضحكت كارين بخفة:

«آه، عفواً. لم اقدّم رفيقي بعد. انه يدعى اوستن مويز. اوستن، اقدم لك دايف تلسون و... آه، نعم هذه كيم».

ولمّا دخل الجميع الى غرفة الجلوس، كان المهندسون الثلاثة قد وقفوا. وبدت غرفة الجلوس عاجزة عن ان تتسع لسبعة اشخاص دفعة واحدة. والاثاث لا يكفي الجميع.

القت كارين نظرة خاطفة حولها من دون اخفاء احتقارها، ثم ابتسمت لدايف:

«يبدو اننا ازعجناكم بمقاطعة هذه الحفلة الصغيرة».

قال لوك بسرعة:

«نحن ذاهبون، يا دايف. ستضطر الى تدبير مكان لهما ليناما الليلة، هل تريدني ان احضر الاسرّة من النادي».

«اذا كان هذا لا يزعجك».

بعد الوداع المألوف، رافق دايف المهندسين الى الشرفة، بينما راحت كيم تخبّر باتريك بان عمله لم ينته بعد. ومن غرفتها، حملت سروالاً من الكتان وقميصاً مناسباً، وتأخرت قليلاً قبل الخروج وذلك لتحاول ضبط اعصابها. الا تعني زيارة كارين الى المنجم انها اتت للاستطلاع. انها متأكدة من ان دايف لم يكن ينتظر ان يراها، عندما خرج الى الشرفة. لكن هذا لا يعني انه لم يكن مسروراً لحضورها. منذ اسبوع او اسبوعين كان يبدو متحفظاً، مثل انسان منهمك بالتفكير في قضية معينة... او في شخص معين. ربما، عندما رأى كارين في المرة الماضية، ادرك انها تنقصه وبات يشتاق اليها. والتصرّف بلا مبالاة، في مثل هذه الظروف، يليق به تماماً... واذا كان ذلك صحيحاً، لماذا يستمرّ في التحدث عن مشاريع السفر معها هي؟ انّ احداً لا يستطيع ان يعرف بماذا يفكر وماذا يريد!

www.lilas.com/vb3

قبلت كارين الملابس النظيفة. ورافقتها كيم حتى الحمّام وراحت تشرح لها كيف تستعمل الرشاش:

«انه حمّام بدائي، لكنه فعال. سأجلب لك مئزري، ويمكنك ان تغيري ملابسك داخل الغرفة عندما تنتهين من الحمام».

«طبعاً. لن اتمكن من ارتداء ملابسي، هنا».

أرادت كيم ان تحدثها عن العقارب، لكنها عدلت. طلب دايف من باتريك ان يتفحص الحمّام قبل ان يعلن بان الماء الساخن جاهز. أحضرت كيم المئزر الازرق واخذت ملابس كارين الموحلة. ثم قالت لباتريك:

«تستطيع ان تذهب. ولا تنسَ ان تملأ الخزان بعد ان تنتهي الآنسة كارين فيليبس، وانا اهتم بالقهوة وبالعشاء».

كان الزائران قد عادا الى غرفة الجلوس عندما احضرت كيم صينية الطعام. وكان اوستن يرتدي احد سراويل دايف الذي كان يليق به، لأنه مثله طويل القامة، اما القميص فواسعة تتدلى حول كتفيه الضيقتين. ملامحه واضحة ودقيقة وشعره طويل اشقر. قدرت كيم ان عمره لا يتجاوز السابعة عشرة عاماً. انه لا يشبه الرجال اللذين شاهدتهم في هذا البلد. وكان يبدو في غير مكانه.

قال دايف في قسوة:

«سأذهب مع اوستن للنوم في النادي، ونترك السريرين للفتاتين. ربما احتاج الامر الى يومين او ثلاثة قبل ان تجف الطريق وتصبح سالكة».

أجابت كارين:

«الطريق ليست سيئة كما تظن. انها مغامرة حقيقية. سيكون لنا شيء نرويه لدى عودتنا. هل سبق ان زارك احد غيرنا، يا دايف؟».

أجابها مبتسماً:

«لا احد فيه ذرة من العقل ويفكر بالمجيء الى المنجم. حتى خلال بعد الظهر».

«لم يكن في نيتنا البقاء».

«هذا اكيد والاّ لجئتما ومعكما الامتعة اللازمة. والآن ما دمتما هنا، فستستفيد من وجودكما».

اضاف وهو يرمق كيم بنظرة استهزاء:

«انني متأكد من أنّ زوجتي العزيزة ستكون مسرورة برفقتك يا كارين».

سأل اوستن:

«هل ثمة طريقة لاعلام الآخرين بما حلّ بنا، كيلا يقلقوا ويرسلوا وراءنا فرق الانقاذ؟».

أجاب دايف بحدة:

«لا تهتم. فكرت في الامر وطلبت من السائق ان يطلع من يهمه الامر ما حل بكما. هيّا، اشرب قهوتك وتوقف عن تخيّل مشاكل لم تحدث».

احمر اوستن خجلاً:

«المعذرة لم يخطر ذلك في بالي الاّ الآن».

فنهض اوستن ليجلس قرب كيم على المقعد الصغير، ثم وجّه نحوها ابتسامة مترددة.

«لقد سببنا لك كثيراً من الازعاج».

«لا. ابداً، الزوار نادرون هنا. هل تعمل مع رالف تات؟».

«اني ابن أخ بياتريس. وصلت الاسبوع الماضي وانوي قضاء شهر. منذ سنوات وهي تقترح عليّ المجيء، لكن الفرصة لم تتح لي قبل الآن. لم أسافر ابعد من فرنسا وبريطانيا. وكنت اعد نفسي باستمرار ان ازور يوماً ما البلدان البعيدة».

«يبدو ان حلمك تحقق. ما هي انطباعاتك عن افريقيا؟».

«في الحقيقة، لا يوجد هنا شيء يشدّني لأن اعيش بصورة مستمرة، انما يجب الاعتراف بأن هذه القارة ساحرة وفيها الكثير من الثقافات المختلفة... بامكاني الاعتراف بأني كنت انتظر شيئاً مختلفاً

www.liilas.com/vb3

عمّا كنت أتصوّره. في الواقع، كنت اتصوّر ان افريقيا مجرد ادغال، غامضة او انها غابة عذراء تسكنها القبائل المتوحشة».

تدخّلت كارين في الحديث قائلة:

«اوستن انسان عاطفي. واعتقد انه كان آسفاً لأننا لم نأت الى هنا مشياً على الاقدام، يرافقنا سكان البلاد المدججون بالسلاح. وقد أكّدت له مراراً ان بنادق النفخ، لم يعد لها وجود، وكذلك الرسوم الحربية على الوجوه».

قال دايف وهو يقف:

«يجب اقناع بعض القبائل بذلك. حان الوقت لأن نذهب. وسنترك المرأتين وحدهما. فهما قادرتان على تدبير امورهما».

قالت كيم:

«بالطبع. كل شيء على ما يرام».

لكنها كانت تود ان تكون متأكدة من ذلك داخلياً.

«اذن، تصبحان على خير».

كان صوت محرك السيارة قد اختفى منذ مدة عندما قطعت كارين حبل الصمت:

«سأشعر بالذنب لأنني مسؤولة عن ابعاد دايف عن سريره».

«لا فائدة من ذلك، فأسرّة النادي مريحة جداً».

نهضت كيم وانحنت امام الصينية الموضوعة على الطاولة المنخفضة:

«أتريدين المزيد من القهوة؟».

«شكراً. لم اكمل فنجاني بعد».

كانت كارين جالسة في استرخاء على الاريكة، والسيكارة بين اصابعها. قالت في هدوء:

«انك تعلّلين نفسك بالاوهام الناعمة، أتعرفين ذلك. لا شك ان دايف ارتأى أنّ الزواج، في مثل هذه الحالة المعينة، اصبح ضرورياً. لكن لا تذهبي بعيداً في أحلامك ولا تظني بأن مجرّد التوقيع على

www.liilas.com/vb3

سجل رسمي سيربطكما معاً الى الابد. انني اعرفه منذ سنتين، وقد تأكدت من أنّه لن يرتبط بأيّة امرأة مهما كانت».

همست كيم:

«ولا حتى انت؟».

هزّت كارين كتفيها:

«لست في حاجة الى اي رجل كان. هذا ما يميزني عن الاشخاص الآخرين. انّ لديّ اسلوبي الخاص، ولست ارغب في الحياة الزوجية اطلاقاً. واذا كنت تعتقدين انني اقول ذلك لأتحداك، فارجوك ان تبعدي هذا التفكير عن ذهنك. انني احذرك فقط. مع دايف لا شيء يدوم. انه هكذا».

«هل قطعت كل هذه المسافة كي تخبريني ذلك؟».

«لا».

ثم اضافت والابتسامة الساخرة على شفتيها:

«لا. لكني كنت مشتاقة لأن ارى كيف تدبران أمركما. حاولت اصابة عصفورين بحجر واحد، فأتيح المجال ايضا لأوستن كي يقوم بالمغامرة التي يحلم بها. فقد عاش حياة كئيبة».

«انه يبدو لطيفاً وودوداً».

«انه كذلك، ومقارنة مع زوجك دايف، انه ملاك. النساء غريبات الاطوار، اليس كذلك؟ ان الصغار في السن مثل اوستن لا يجذبوننا بما فيه الكفاية. اعتقد انها قضية تحدّ. اية امرأة في وسعها ان تتكيّف مع اوستن. لكن هذا مستحيل! وانا اعترف بأنّني حاولت مع دايف، لكنني فشلت في ان اخضعه. هل تعرفين لماذا...؟ أفضل الا ابوح!».

«لكنك، حالياً، لم يعد يهمك أمره، أليس كذلك؟».

«لا. صحيح ان دايف هو احياناً رجل دنيء، لكنني رغم ذلك، ما زلت اعتبره الرجل الاكثر اثارة من بين الرجال الذين عرفتهم. ولن اخدعك فاقول انه لم تعد بيننا اية علاقة. وان شعلة الحب

انطفأت الى الابد. ان زوجك وانا ننظر الى العلاقات بين الرجل والمرأة، من منظار واحد، وهو الاتفاق المتبادل. يمكنك ان تلتصقي به كل الوقت، لكنّك لن تعرفي ما يدور في رأسه او في قلبه».

لا شك في ان هناك حقائق في ما تقوله كارين. لم تحاول كيم انكار ذلك. كل ما تريده هو ان يتوقف الناس عن اكتشاف ما لم تكتشفه. وقفت فجأة وتناولت الصينية وقالت:

«سأوضب سريرك».

وصل اوستن الى البيت في الساعة التاسعة والنصف صباحاً. كانتا قد استيقظتا وتناولتا طعام الفطور منذ اكثر من ساعة. اخبرهما اوستن ان دايف ذهب ليراقب انحدار الارض ولم يقل متى يعود.

سألت كارين:

«كيف سنمضي النهار من دونه. يا كيم، ماذا تفعلين عادة عندما يكون رب البيت غائبا؟».

تجاهلت كيم سخريتها وأجابتها بهدوء:

«لدينا سيارة اخرى في امكاني ان آخذكما لزيارة المنطقة المجاورة، اذا كنتما تريدان ذلك. لا احد يعمل نهار الأحد».

«فكرة جيدة! اعتقد ان كل شيء افضل من البقاء هنا في هذا الكوخ. كيف وجدت النادي، يا اوستن؟».

«لا بأس».

تدخلت كيم قائلة:

«ليس النادي سوى مكان تجمع المهندسين، خارج دوام العمل. يمكننا ان نتناول الغداء هناك، شرط الا يزعجك تحديق الجميع بك».

«لا يزعجني ابداً ان يشتهيني الآخرون. ارجو ان تقودي السيارة بتعقل. لا أرغب في ان اتعثر مرّة ثانية في الوحل».

النزهة حول المكان لم تكن ناجحة. فليس هناك شيء يثير اهتمام هؤلاء الغرباء. الوحل كان يجعل من قيادة السيارة عملية انتحارية.

وعندما اقترحت كيم الذهاب الى النادي واحتساء القهوة او الشراب تحمست كارين. اما بالنسبة الى اوستن فانه اعترف انّ النزهة اعجبته.

النادي يزوره العديد من الرجال الذين لم يقرروا قضاء عطلة نهاية الاسبوع في المدينة. اما هذا الاحد بالذات، فقد بدا النادي شبه خال. راحت كيم تفتش عن الرجال، فوجدت اخيراً واحداً في غرفة الطعام. وسألته:

«اين الآخرون؟».

«الجميع نزلوا ليتفقدوا الطريق. لقد انهارت بعض الصخور».

وعندما عادت كيم لتخبر كارين واوستن بما يجري، قالت كارين:

«الجميع يساعدون لفتح الطريق امام الحضارة. ما رأيكم لو نذهب ونلقي نظرة على ما يجري؟ في كل حال، انّ فتح الطريق يهمني شخصياً».

ترددت كيم، فهي تعرف جيداً ان دايف لا يحب الفضوليين حين يحومون حول الاماكن المتضررة. ومع ذلك فهي تشعر برغبة الذهاب بنفسها. شعرت بأن ثمة مأساة حصلت.

سألتها كارين في سخرية:

«هل تخشين ردّة فعل زوجك متى رآنا؟ لا تقلقي سوف أتحمّل المسؤولية وحدي. فهو يعرف كيف اكون عندما اقرر امراً ما. سأقود السيارة اذا كان هذا ما تريدين».

«شكراً. لكني افضّل ان اقود السيارة بنفسي».

باب المدخل العام كان مشرعاً، والحارس الاعتيادي داخل برج المراقبة. اجتازت كيم الحاجز دون ان تنتظر منه ان يسمح لها بالعبور، وسلكت طريق الوادي.

وما ان ابتعدا عن المفرق، حتى استقبلهما منظر الأسف والحيرة والارتباك. ان قمة جبل بكامله تدحرجت على علو عشرين متراً. الحجارة والصخور والتراب، كلها انهارت على الطريق فسدتها

بكاملها. وقرب المكان الذي اوقفت فيه كيم السيارة هناك انحدار جديد قلب احدى الجرافات الالكترونية الضخمة الى الهوة، والرجال منصرفون الى انقاذ الجرافة قبل ان تقع في الوادي. بعضهم يحاول تركيز آلة لرفع الاثقال، والآخرون يراقبونهم في صمت تطلعت كيم في جميع الاتجاهات، لكنها لم تتمكن من العثور على دايف. شاهدت لوك الذي كان يقود عملية الانقاذ.

وبسرعة هرعت راكضة نحو المهندس وجذبته في حدة وصرخت:

«اين دايف؟».

اجاب وهو يشير الى الجرافة المقلوبة:

«هناك، تحت الجرافة».

حبست كيم انفاسها وقالت:

«هل مات؟».

«لا، لكنه محاصر هناك».

تردّد لوك، لكنه قرّر ان يقول لها الحقيقة كلها.

«واذا تحركت الجرافة بضعة سنتمترات، فسوف يموت. وهذا يمكن ان يحدث بين دقيقة واخرى».

www.liilas.com/vb3

نظرت الى الجرافة، ثم الى آلة رفع الاثقال، ومن جديد نحو لوك. وقالت:

«معك ما يكفي من الرجال! الا يمكنهم ان ينتشلوه من تحت الجرافة بدل انتظار تركيز آلة رفع الاثقال؟».

«الرجال لا يمكنهم ان يفعلوا شيئاً في هذا الظرف. يجب رفع الجرافة من فوق. هذا يعني ان علينا اولاً ان ندخل سلسلة قبل القيام بذلك. لا يمكننا المخاطرة بأن ينزلق المزلاج الذي ستعلق به السلسلة... والمشكلة هي، كيف سنحقق ذلك. يجب ايجاد شخص يمكنه ان يجر السلسلة تحت الجرافة ويقطرها بالمزلاج ويتأكد بأنها وضعت في مكانها تماماً. لكن ليس عندنا رجل صغير ونحيف يمكنه ان يزحف تحت الجرافة من دون ان تنهار عليه وعلى دايف».

قالت بسرعة:

«زحف دايف بسهولة المرة الماضية عندما انحصر الرجال الثلاثة».

«هنا، الامور تختلف تماماً. واذا كان دايف ما زال حياً حتى الآن، فذلك لأن كل ثقل الجرافة في قاعدة القاطرة... اما اذا انزلقت الجرافة، فسيسحق دايف تحتها. لا تزال هناك مسافة صغيرة ليزحف شخص نحيف وحذر... وكما قلت، ليس هناك احد بهذه المواصفات. سنضطر الى ادخال المزلاج لوضع السلسلة في المكان المعيّن».

«انني نحيفة وضئيلة، يا لوك. يمكنني ان ازحف تحت الجرافة بكل سهولة واعلق السلسلة».

«انت؟».

نظر اليها وانبعث الامل في عينيه ثم اختفى بعد لحظة وهزّ رأسه.

«لا يمكن لدايف ان يتحمل ذلك. انها عملية خطرة».

اجابت وهي مقتنعة بما تقول:

«ليس في وسع دايف ان يقول ما يمكن ان يتحمله او لا يتحمله. واذا لم تتصرّف بسرعة، فلن يكون في وسع دايف ان ينطق بحرف واحد. انت المسؤول الآن يا لوك. وعليك ان تتخذ القرار النهائي في مثل هذه الظروف».

«فهمت جيداً كيف انّ في امكان هذه الجرافة ان تتوازن؟ حركة خاطئة، واحدة، وكل شيء ينهمر عليكما وتنسحقان تحتها».

«ساكون متنبهة. قل لي فقط ماذا علي ان افعل بالضبط».

اعطى لوك اوامر سريعة الى رجاله، ثم اقترب من الجرافة وجلس امام الفجوة التي ستتسلّل منها كيم. وقال بصوت واضح:

«دايف، سوف نرسل.. احداً الى هنا ليضع السلسلة في الوسط. وهكذا يكون في امكاننا سحب الجرافة بآلة رفع الاثقال في اسرع وقت ممكن»..

لم تسمع كيم جواب دايف، لكن لوك التفتَ اليها قائلاً:

«عندما تزحفين مع الحبل، تأكدي تماماً ان السلسلة ستنسلّ بسهولة عندما نسحبها من الجهة الثانية. ان دايف في موضع معين ويجب ان تمر السلسلة على ظهره، وعليك ان ترميها ابعد شيء ممكن نحو الجهة الثانية. وبعد ان تحققي ذلك، عليك ان تعودي وتديريها الى الجهة الثانية وان تسلّي من جديد لسحبها. اما زلت تعتقدين انك قادرة على القيام بذلك؟».

«سأحاول».

كانت شاحبة اللون، لكنها مصرّة على تنفيذ هذه العملية الخطرة. وقفت قرب لوك وشكرت نفسها لأنها ارتدت سروالاً، فبامكانها ان تزحف على بطنها بسهولة اكثر مما لو كانت ترتدي فستاناً. وطرف الحبل المعقود خصيصاً لأعطائه قوة كافية حتى يصل بعيداً عندما ترميه الى الطرف الثاني، هو الآن في يدها.

«كيم؟».

انبعث صوت دايف من تحت الجرافة، بترخم.

«كيم، اذهبي من هنا، هل تسمعين؟ لوك قل لها ان تذهب من هنا!».

غمزت كيم المهندس قبل ان تلقي بنفسها ارضاً وتزحف ببطء وحذر مادة رأسها وكتفيها في الفرجة الضيقة، بين الارض والحديد الملوي. ولم تر سوى جسد دايف المتقلص والمكان الذي ستمد منه الحبل. كان دايف ممدداً على جنبه، ويده اليسرى عاجزة عن الحركة بسبب ضغط القاعدة عليها. لم يسبق ان رأت ملامحه متعبة الى هذه الدرجة. حتى تنفسه كان مخنوقاً. وبعد عدة لحظات فهمت انّ صوت القطرات المنتظم لم يكن سوى الدم الذي ينهمر من ذراعه ساقطاً على الحديد المصفّح.

لم يكن لديها سوى مكان ضيّق لتقوم بمهمتها، ولم يكن بامكانها الالتفات وراءها. لم تكن تجرؤ على استعمال قاعدة الجرارة، لكنها

توصلت الى التقدم شيئاً فشيئاً، وكانت تمر الحبال تحتها، بين رجليها، وكان لوك يحمل الطرف الآخر للحبل ويسله بتأن كلما تقدمت كيم الى الامام. احتاجت الى خمس دقائق قبل ان تصل الى حيث يمكنها ان تسحب الحبل من تحت جسدها وتوصله الى خصر دايف. قالت في صوت خفيض:

«هل في وسعك ان تخفض يدك الاخرى وتتناول الحبل وتمنعه من الانسلال، بينما اكون قد خرجت من هنا».

مسحت العرق عن وجهها، محافظة على تجميد يديها في المكان الضيق. كانت تسمع وقلبها ينبض والصلاة على شفتيها، أزيز المعدن الذي يخور ببطء. وتمتمت: يا الهي، دع الجرارة تتماسك مكانها، الى ان يكون دايف قد نجا.

حرّك دايف ذراعه الصالحة ببطء وتناول طرف الحبل بشدة. أصابعه المتجمدة لمست اصابع كيم. وجهه كان مكموداً وفكه متشنجاً. فقال:

«ما كان عليك ان تكوني هنا. قلت لك ان تبتعدي».

«اعرف. يمكن ان تعظني فيما بعد. سألاقيك بعد دقائق، في الجانب الآخر».

كانت عملية العودة اصعب، ولما وجدت نفسها من جديد في الهواء الطلق، كانت مبللة كلياً وقد ارهقتها الحرارة والجهد. لكن ما زال امامها القسم الثاني من المهمة.

قال لوك وهو قلق لرؤيتها على هذا الشكل:

«استريحي. انتظري دقيقة او دقيقتين قبل ان تعودي».

اجابته وهي تنهض مرتجفة:

«ليس لدينا وقت. هذه الجرافة مهددة بالسقوط في اية لحظة وان جزءاً من القاعدة يكاد يسحق ذراع دايف...».

توقفت قليلاً ثم اردفت:

«شيء آخر يا لوك. هل تعتقد انني استطيع ان اسحب السلسلة

www.liilas.com/vb3

بنفسي عندما اصبح في الجهة الاخرى؟ هناك خطر في ان تعلق في طرف القاعدة، اذا لم يكن هناك احد يدير العملية من هنا».

أجاب في حذر:

«السلسلة ثقيلة، وستضطرّين الى سحبها وانت ممددة كلياً على بطنك».

«حسناً. سأبلغك ماذا سأفعل. اسحب الحبل اولاً، ثم اعود من جديد الى الداخل وامر فوق الحبل واراقب السلسلة بينما انت تسحبها من الخارج. ومتى مرّت السلسلة على قاعدة الجرارة، يزول الخطر».

بعد ذلك توقف الزمن بالنسبة الى كيم. لم تعد قادرة ان تتذكّر تفاصيل القسم الثاني من العملية، وكيف زحفت على بطنها في هذا الممر الضيق لترفع السلسلة، بينما كان لوك والرجال، يجرونها لتضعها في المكان المناسب. كما انها لم تعد تتذكّر عودتها الى الهواء الطلق. كل ما تذكرته هو ضعف قدميها، عندما ساعدها لوك على الوقوف، ومشهد الجرافة ترفعها آلة رفع الاثقال، شيئاً فشيئاً حتى اصبح هناك مكان لرجلين سارعا فوراً الى انقاذ دايف وسحب آلة الحديد التي كانت تسحق ذراعه اليسرى. وبعد ثوان قليلة، فقدت آلة رفع الاثقال توازنها تحت تأثير جاذبية الارض ووقعت فوق الجرافة وتدهورا معاً الى عمق الوادي.

كان دايف لا يزال محافظاً على وعيه عندما وضعوه على النقالة التي كانت في انتظاره. حقنه طبيب المنجم بأبرة مهدئة قبل ان يرفع كم قميصه المبلل بالدم. وشاهدته كيم يشدّ على اسنانه وهو يتأمل الاضرار، وعضت على شفتيها حتى تحبس السؤال الذي كاد ان ينفجر تلقائياً من فمها. ونظرت الى لوك ومن تعبير وجهه فهمت انه سبق ان رأى مثل هذه الجراح في اجسام عمّال المناجم الذين يتعرضون لحوادث من هذا النوع. وعندما وُضعت الحمّالة في مؤخرة احدى السيارات كان المهدىء قد بدأ فعله. وبدأت عينا دايف

الرماديتان تلتويان. صعدت كيم وجلست قربه.

كان دايف قد وضع يده السليمة على الحمّالة على بعد سنتمترات من يد كيم، الا انها لم تجد الشجاعة الكافية لتأخذها بيدها، كأن شيئاً ما يقول لها انه لا يريد في الوقت الحاضر ان يلمسه احد، لا هي ولا احد سواها. الرجال الذين مثله عليهم ان يناضلوا ضدّ الرعب بأنفسهم. بقيت جامدة، صامتة، دون ان تبعد نظرها عن وجه زوجها المتعب، خلال الطريق الى ان وصلت الى العيادة.

بقيت ساعة تنتظر اخباراً جديدة، الى ان جاء لوك ليوافيها في غرفة الانتظار. قبلت بامتنان السيكارة التي قدّمها اليها، ثم ارخت رأسها على الحائط وأغمضت عينيها المتعبتين. سوف ينجو دايف. يجب ان ينجو. ان عمله هو كل حياته. انها الحياة الوحيدة التي يعرفها والتي يريدها. وهو من دونها سيكون انساناً ناقصاً.

قال لوك فجأة بصوت رقيق:

«انك تحبينه، اليس كذلك؟ كنت اتصور انك تزوجته من اجل المال».

فتحت عينيها من جديد، لكنها لم تنظر اليه. وهمست:

«لا اعرف اذا كانت كلمة حب هي الكلمة الصحيحة. في كل حال لم افهمه حتى الآن. هل بامكان اي انسان ان يحبّ شخصاً لا يعرفه تماماً، يا لوك؟».

تردّد قبل ان يقول:

«هناك شيئان فقط اريدك ان تعرفيهما عنه، قبل ان تذهبي بعيداً... لم يعرف دايف حنان العائلة. لقد توفي والداه في حادث عندما كان في سنته الثانية. وامضى طفولته يتنقل بين المياتم والبيوت التي تبنته، حتى صار كبيراً قادراً على ان يدبّر اموره بنفسه. مرّة قال لي، انه لم يجرؤ ان يحب الناس الذين كان يعيش معهم، الا في البيت الاول، لانه كان يخاف ان ينقلوه الى منزل آخر. ومثل هذه العقد، لا تظهر آثارها الا عندما يصبح الفتى رجلاً».

www.liilas.com/vb3

«تريد ان تقول لي ان دايف اقل قساوة مما يبدو عليه».
«تقريباً. اعتقد انه بحاجة الى ان يكون متأكداً تماماً من عواطف المرأة تجاهه، قبل ان يقدم اليها بعضاً من عاطفته. وبعد هذا الحادث، اصبح الوضع متأزماً ولا سبيل الى ان يظهر عاطفته بسهولة».
جفّ حلق كيم وقالت:
«هل انت متأكد تماماً من انه سيفقد ذراعه».
«لنقل اني آمل ان ينجو حتى ولو خسر يده. اما اذا خسرها بالفعل فاني مؤمن من ان اول شيء سيفعله هو ان يطردك ويرسلك الى انكلترا. وحينذاك فقط، يمكنك ان تعرفي ما اذا كنت تتمتعين بالقوة الكافية، وما اذا كنت تشعرين بالعاطفة نحوه كي تبقي هنا مهما جرى له. صدقيني يا كيم ان دايف بحاجة اليك. وانا اؤكد لك انه خلال الاسابيع الماضية كاد يتحول دايف الى انسان آخر. للمرة الاولى في حياته صار له منزل يعود اليه بعد نهار عمل، وزوجة تشاركه حياته. ومهما حاول التهرّب من هذا الواقع فانه لن يستطيع ان ينكر انّ هذا بات مهماً بالنسبة اليه. هل تعتقدين ان بامكانك تحمّل تصرفاته قبل ان تتوصلي الى فهمه والتصرف على اساس ذلك؟».
اعترفت حزينة:
«لا اعرف. لا اعرف، يا لوك».
«اذن، من الافضل ان تقرري خطواتك المقبلة بسرعة. واعرفي ان هناك شيئاً واحداً، لا يحتاج اليه دايف: الشفقة!».
كانت تعرف انه على حق. انه قرار عليها وحدها ان تتخذه. هل تحب دايف فترضى بان تواجه كبرياءه واستقلاليته؟ ام انه من الأفضل والأسهل للاثنين معاً ان تختار الحل الاسهل وقبول عرض دايف الذي سيقدمه، في ان يدعها تذهب عنه؟ اخيراً، هل ما تشعر به تجاه دايف هو الحب؟

الجواب على هذا السؤال وجدته بسرعة مذهلة. يكفي ان تتذكر لحظة قال لها لوك ان دايف محجوز تحت الجرافة، والانفعالات التي تملكتها قبل ان تعرف ما اذا كان لا يزال حياً. وقتئذ لم يكن هناك اي شك او تردد في حقيقة عاطفتها. لم يخطر في بالها سوى فكرة واحدة هي ان تظل قربه وتحاول انقاذه اياً كانت النتائج!

www.liilas.com/vb3

www.liilas.com/vb3

٨ - شخصان وأذرع ثلاث

ساعات مرت قبل ان يأتي الدكتور سلبي اخيراً الى غرفة الانتظار. بدا عليه التعب والارهاق والتوتر، وظهرت ملامح وجهه غريبة، فيها تحفظ وبعض التكتم عندما نظر الى كيم. وقطع الصمت الرهيب حين اعلن:

«صحته ستكون على ما يرام. كسر في الذراع وبعض الندبات، لم تكن خطرة كما تصورت في البداية. لقد افاق من تأثير المخدر ويريد ان يراك».

كان دايف ممدّداً على السرير ومرتفعاً قليلاً بعدة وسادات تحت رأسه وابطه، في قاعة كبيرة لعدة اسرّة. كان وجهه شاحباً برغم اسمراره الناتج عن تعرضه الدائم الى اشعة الشمس. لكن عينيه

الرماديتين ما زالتا في ادراكهما كما تعودتا ان تكونا دائماً. وكانت ذراعه اليسرى مجبرة تحت المرفق ومعلقة بشريط مثبت في قاعدة فوق السرير.

قالت له بحنان:

«اني سعيدة للأخبار الحسنة. قال لي الدكتور سلبي انك تريد ان تراني».

كان صوته خفيضاً لكنه هادىء:

«نعم. اريد ان اشكرك لأنك انقذت حياتي».

«كانوا سينتشلونك من هناك بطريقة او بأخرى. والآن، قل لي، كيف تشعر؟».

«سوف اعيش. . . لا داعي لأن اقول لك ان هذا الحادث سيغير كل مشاريعنا، هذا طبيعي. سأبقى هنا حتى نهاية عقدي، لكن لم يعد هناك اي سبب يدعوك تنتظرين هنا معي. غداً تقلع الطائرة متوجهة الى انكلترا عند الظهر. وسوف يتصل لوك بالمسؤولين كي يرسلوا طائرة مروحية توصلك حتى المطار، وانا احول لك المال اللازم الى البنك في انكلترا، في انتظار الغاء الزواج. لا تقلقي، فلن ينقصك شيء».

«هل تقصد انك ستعطيني اجازة مدفوعة؟».

«اذا كنت ترين الأمور من هذا المنظار».

«واذا رفضت ان اذهب؟».

«ماذا تريدين الآن. . . المال الكثير؟».

«بما اني لا اعرف كم ستدفع لي، فلا استطيع ان اطلب اكثر. لقد. . . لقد وعدتني برحلة الى الجنوب قبل العودة الى انكلترا».

وبابتسامة مرة، دلها على يده المكسورة:

«وبيدي؟».

«انا اقود السيارة».

«اذا كنت تعتقدين أنني بحاجة الى امرأة للأعتناء بي، فانك

مخطئة. بالنسبة الي، لقد انتهى كل شيء بيننا، يا جميلتي. اذن، ذهابك بسرعة، افضل من اي شيء آخر. وفي كل حال، كنا على وشك الانفصال خلال اسبوع او اسبوعين».

نهضت وقالت بانفعال:

«لا اريد ان اذهب، يا دايف. ليس هكذا. الا يمكننا ان نظل على وعدنا وننفذ رحلتنا؟ على الأقل نسافر معاً حتى نصل الى انكلترا».

ظلت نظراته قاسية وأجاب:

«لا. لا يمكننا. لقد قلت لك الآن، اني لم اعد اريدك».

«فقط، لأنك كسرت ذراعك؟ هل هناك سبب اخر؟».

«كسر الذراع ليس سوى تفصيل! الا يمكنك ان تفهمي اخيراً بأني لم اعد اطيق هذه القصة بيننا؟ نعم، صحيح، انني قلت اننا سنقوم برحلة الى جنوب افريقيا، لكن هذا الكلام حدث قبل...».

شد على اسنانه ثم عاد ليكمل حديثه:

«حدث قبل ان التقي بكارين من جديد. متى شفيت يدي، وعدت الى الاعتماد على نفسي، فسأحقق مشاريعي معها. هل هذا واضح؟».

رفعت كيم ذقنها وقالت محاولة الدفاع عن كرامتها:

«لا شيء اوضح من ذلك. لا تقلق، يا دايف. لن اسبب لك اية مشكلة. لست في حاجة الى ان تراني بعد الآن. آمل ان تجدا ما تبحثان عنه».

ادارت له ظهرها بعنفوان وخرجت من القاعة. انتهى كل شيء. لم يعد دايف يريدها. ان لوك مخطىء في تفكيره.

«كيم!».

اسرع لوك نحوها وهو يراها تتعثر على الدرجة الواحدة التي تصلها بغرفة الانتظار.

«كيم، ما بك؟ ماذا جرى؟».

سألته في صوت مرتعش:

«اين كارين؟».

«نصحتها بأن تعود مع اوستن الى المنزل».

لكنه سرعان ما ادرك ما تعنيه فأضاف:

«هكذا اذن، انه يستعمل كارين حجة ليجبرك على العودة الى انكلترا؟».

«لم تكن مجرد حجة، انما السبب، انه يريد كارين، لا انا. لقد اخطأت يا لوك. لقد قالي لي ذلك بوضوح».

حافظ لوك على صمته مدة طويلة وكان التعبير على وجهه يتبدل لحظة بعد لحظة. واخيراً هز كتفيه وقال:

«اني آسف. كنت اعتقد اني اعرفه جيداً. تعالي، سآخذك الى المنزل».

ولما سمعت كارين محرك السيارة، خرجت الى الشرفة يتبعها اوستن. فسألت كيم التي كانت تتسلق السلالم ومعها لوك:

«اذن! وما هي النتيجة؟».

«انه سينجو. اصيب بكسر عادي في ذراعه، لا اكثر».

مرت كيم امام كارين وهي تدرك ما يجول في خاطرها فقالت:

«لا مانع من زيارته، اذا كنت تريدين ذلك. فقد استعاد وعيه تماماً».

لم يظهر على كارين انها فهمت شيئاً.

«صحيح؟ هل طلب ان يراني؟».

«نعم. وأنا سأرحل غداً، عائدة الى انكلترا. والآن سأهتم بتحضير الغداء لأني جائعة».

تبعها لوك الى المطبخ، وقال:

«سوف ترحلين؟ هكذا ببساطة؟».

«ماذا تريدني ان افعل؟ لم يترك لي أي خيار. يريد التخلص مني

www.liilas.com/vb3

بأسرع وقت. والمطلوب منك ان ترافقني الى المطار وتدبر طائرة مروحية لتنقلنا من هنا، غداً باكراً».

«يمكنني ان ارفض ذلك!».

«رفضك لا يغير الأمور. اذا رفضت مرافقتي، فسوف يطلب ذلك من مهندس اخر. وانا افضل ان تكون انت من يرافقني».

«لم اعد افهم شيئاً. لوكان هناك خطر من ان تقطع ذراعه، لكنت فهمت. لكني لا افهم الآن ما دامت الأمور غير خطرة. انه لم يصب الا بكسر بسيط».

«الأمر سهل للغاية، يا لوك. ان دايف ملني، وهذا كل شيء. والحادث الذي تعرض له استعجل الأمور. كنت اعرف منذ البداية ان زواجنا مؤقت. لا دخل لدايف في القضية. أنا التي تغيرت».

«وماذا ستفعلين لدى وصولك الى لندن؟».

«لا اعرف. سأقبل عرضه المالي في انتظار ان اجد عملاً. وليس امامي اي خيار اخر. سأرد له ماله حتى آخر فلس».

«اتعرفين، انك متكبرة مثله! وعنيدة ايضاً. اني متأكد من انك لم تحاولي ان تقولي له ما هو شعورك تجاهه!».

«لكن يا لوك، لا يريد ان يسمع شيئاً من هذا القبيل. شيء واحد يهمه وهو ان يتخلص مني بأسرع وقت ممكن. اولاً، انه غاضب عليّ لأني انا التي انقذته من تحت الجرافة! اني اعتقد انه كان يفضل ان يتدحرج الى عمق الوادي من ان يكون مديناً لامرأة انقذت حياته!».

زم لوك شفتيه وابتعد عن الباب.

«في هذه الحالة، حان الوقت لأن نلقنه درساً لا ينساه. من الضروري ان نفهمه بعض الحقائق».

قالت له كيم وهي تمسك بيده:

«لا. ارجوك. لا تفعل شيئاً يا لوك. من اجلي!».

نظر اليها ثم هز رأسه:

«حسناً، اتفقنا، اذا كان هذا هو ما تريدينه، من الأفضل ان

اذهب الآن، واتصل هاتفياً ليرسلوا لنا في الغد الطائرة المروحية. ماذا ستفعلين بكارين واوستن؟ هل تعتقدين بأنهما سيستغلان هذه الفرصة ويطيران معنا. والا فانهما سيضطران الى البقاء هنا يومين حتى تصبح الطريق سالكة».

«لا اعرف. اسألهما... لكن ابق معنا قليلاً».

سمع اوستن بفكرة الرحيل. فقد سئم حياة المناجم القاسية. واعترفت كارين بأنها مشتاقة للعودة الى منزل تات. وبعدها نهض لوك يستعد للذهاب، ونهضت كارين ايضاً وسألت كيم ان تعيرها السيارة لتذهب الى العيادة، قائلة بوقاحة:

«اعتقد ان عليّ ان ارى المريض للحظة قبل الذهاب. فغداً لن يسمح لي الوقت بذلك. هل يمكنك يا لوك ان تدلني الى الاتجاه الذي سأسلكه للوصول الى العيادة؟».

اجابها باقتضاب بينما كانت كيم تسلمها مفاتيح السيارة:

«طبعاً. تعالي».

اغمض اوستن عينيه دقيقة او دقيقتين، بعد ذهاب كارين ولوك. كان وجهه محتقناً. واشفقت كيم عليه. لقد وجد نفسه في وضع لم يستطع فهمه، ولم يتمكن من تقديم اية مساعدة. ومن الطبيعي ان يشعر بالاحباط، ولم يعرف ما عليه ان يفعله. لذلك رأت كيم ان الوسيلة الوحيدة هي ان تبوح له بكل شيء. فقالت:

«آسفة لما حصل. لا شك انك حائر في ما يمكن ان تفعله. من الأفضل ان تعرف كل شيء. كنا أنا ودايف سنفترق قريباً جداً. ولكن في الظروف الراهنة، رأينا انه من الأفضل الانفصال الآن».

همس اوستن وهو يرفع عينيه:

«لا داعي لأن تشرحي لي هذه الأمور. لست رجلاً فضولياً، ولا اسعى الى معرفة ما يدور بينك وبين دايف. لكن ما اعرفه هو انك تسمحين لكارين بأن تخدعك. قالت لي ونحن في طريقنا الى هنا، انها تنوي استعادة دايف، فقط من اجل ان تنتزعه منك. فهي لا

www.liilas.com/vb3

ترغب فيه فعلاً. وبصراحة، انها لا تعرف حقاً ما تريد. انها فتاة انانية جداً».

ابتسمت بخفة وقالت:

«وأنت رجل طيب، يا اوستن. رأيك في كارين صحيح. لكنها ليست سبب انفصالنا. السبب بسيط جداً. أنا ودايف مختلفان تماماً، هذا كل شيء».

ثم تابعت كلامها وهي تقوم بجهد للحفاظ على رقتها:

«حسناً. والآن وقد اتضح الامر بالنسبة اليك، دعنا نشرب القهوة».

كانا يتحدثان عن حياة اوستن في انكلترا عندما عادت كارين. كانت تبدو متغيرة بمهارة ودقة، لكن كيم لم تعرف في اي اتجاه تغيرت. «نعم، دايف متفائل واعصابه هادئة». اكدت في لهجة مترفعة كأنها تفكر بشيء آخر. وادركت كيم ان اوستن كان يراها بوضوح عندما راح يحلل طبيعتها. والآن بعدما ربحت كارين المعركة، لم تعد القضية تعني لها الكثير. واعتقدت كيم ان ما حصل يجب ان يفرحها لأن دايف سيرى نفسه معاقباً بعد ان تصده كارين، لكنها لم تكن قادرة على ذلك. لا شك ان كارين ودايف سوف يتفقان في النهاية، وهي تحسدهما على ذلك.

ولما خرج الجميع في الغد، بعد ليلة ممطرة وعاصفة، كان الجو قد انجلى. والطائرة المروحية تنتظر في ساحة الهبوط قرب الباب الرئيسي. انتفض قلب كيم عندما لمحت الطيار. لم تستطع حبس ابتسامتها عندما اقتربت من الطائرة. وراح الطيار يلقي بنظرة فضولية اليها وهو يساعدها على الصعود، لكنه لم يعلق بشيء ولم يتحدث عن لقائها الأول. صعد لوك بعدها، وانتظر ان تصعد كارين ثم اوستن قبل ان يغلق الباب. دوى المحرك وارتجفت الطائرة ثم ارتفعت ببطء، فوق المرتفعات والمباني والأراضي الواقعة حول المنجم. وبعد قليل لم يكن تحت الطائرة سوى الادغال الكثيفة.

بعد قليل انحنى الطيار جيري برايس نحو كيم وقال بصوت خفيض كي لا يسمعه بقية الركاب:

«لم اكن انتظر ان اراك اليوم. سوف تعودين، أليس كذلك؟».

«لا. لا. لن اعود».

نظر اليها وراقب شحوب وجهها وفمها المزموم وقال بحدة:

«لم اكن اتوقع ان تترك امرأة زوجها وهو يعاني في هذه الحالة السيئة؟».

اجابت:

«انه يعاني فقط من كسر في ذراعه».

بدا على جيري الاستغراب:

«آه! ليس هذا ما سمعته. قال لي احد الرجال ان دايف يعاني خطراً في ذراعه، وان الطبيب يظن بأنه سيضطر الى بترها!».

ذعرت كيم وراح قلبها ينبض بعنف:

«لا شك انك فهمت خطأ».

«ربما. لكنه كان يبدو متأكداً من ذلك».

التفتت كيم غريزياً الى الوراء ووقع نظرها على كارين التي كانت تحدق فيها ولم يكن في وسعها ان تخفي التعبير الذي كان يمر بسرعة على وجهها. قالت لها كيم:

«كنت تعرفين، أليس كذلك؟ ولهذا السبب كنت في حيرة وارتباك مساء امس عندما عدت من زيارته في العيادة. هل قال لك الحقيقة كلها؟».

اجابت كارين من دون انفعال:

«ابداً، ان الدكتور سلبي هو الذي اخبرني بذلك. واذا كنت مصرة على معرفة كل شيء، فانني اقول لك انني لم ازر دايف اذ لم يبد لي ذلك ضرورياً. لا اريد ان اشغل نفسي بانسان عاجز».

كانت قسوة كلماتها كالصدمة بالنسبة الى كيم التي صرخت:

«لن يصبح دايف عاجزاً ابداً. مهما حدث، لا احد يحق له ان

www.liilas.com/vb3

يعامله كانسان عاجز».

ثم التفتت نحو جيري وقالت:

«جيري. عد بي الى المنجم. ارجوك ان ذلك ضروري!».

وقبل ان تنتهي من كلامها كان الطيار قد حول سيره واتجه نحو المنجم وقال وهو يبتسم:

«هذا سيلغي مهمتي التالية. لا يهم، سوف اقول بأن التأخير حصل بسبب اصلاح عطل».

بعد دقائق هبطت الطائرة، لكن بالنسبة الى كيم كانت رحلة العودة وكأنها استمرت ساعات طويلة. لم تكن بعد قد تأكدت من ان دايف يريدها، لكن بما انه طلب من الدكتور سلبي ان يكذب حول خطورة الاصابة، فهذا يعني انه من واجبها ان تطلب منه تفسيراً لذلك. ربما يكون السبب كبرياءه الغريب. لم يستطع ان يتحمل امكانية بقائها معه بدافع الشفقة. وادركت بأنه سيكون صعباً عليها اقناعه ان الشفقة لا تلعب اي دور في عودتها. فقد اقام حواجز وعقبات بينها وليس من السهولة ازالتها.

هبط لوك وراءها حاملاً حقيبتها. وودعت كيم الركاب وردت عليها كارين بهزة من كتفيها. وقال اوستن في صدق:

«حظ سعيد. آمل ان تتحسن الأمور بينكما».

شدت كيم على يده، ثم ابتسمت للطيار:

«شكراً يا جيري».

كانت الطائرة قد حلقت من جديد عندما وصلا الى سيارة الجيب. فاختفت الطائرة وراء المرتفعات وصعدت كيم بجانب لوك في السيارة. واقلع لوك في اتجاه العيادة.

قال لها لوك وهو يعرف تماماً ما يجول في خاطرها:

«لن يكون ذلك بسيطاً. سيكون سعيداً لرؤيتك، لكنه سيرفض التصريح بذلك».

«مهما قال، فإني هذه المرة باقية هنا».

«انك من دون شك امرأة عظيمة».

كان الدكتور سلبي في غرفة الاستشارة يتأكد من محتوى عدته. فنظر الى كيم في دهشة، عندما ظهرت على عتبة الباب ثم نظر الى ساعته:

«ظننت انك رحلت. الم تأت الطائرة المروحية؟».

«بلى».

سكتت برهة ثم اضافت:

«هل صحيح ان هناك خطراً، وقد يفقد دايف ذراعه؟».

غيّر الطبيب ملامحه. وسألها بسرعة:

«من قال لك هذا؟».

«لا يهم. اريد فقط معرفة ما اذا كان هذا صحيحاً».

تردد ثم تنهد وهز رأسه.

«نعم. هذا صحيح. او على الأقل، هناك احتمال. وفي احسن الحالات، انا اشك في انه سيتمكن من استعمال يده من جديد بصورة طبيعية. فقد تقطعت بعض الأعصاب. بذلت المستحيل، وتصرفي نحوك لم اكن اريده ان يحصل هكذا، لكن دايف اصر الا تعرفي الحقيقة. بالنسبة الي ارى انه مخطىء في ان يخفي عليك الحقيقة».

«لكنك قلت الحقيقة لكارين، المرأة التي شاهدتها مساء امس».

«بناء على طلب دايف ايضاً. طلب مني ان اوقفها قبل ان تدخل القاعة وان اطلعها على الحقيقة. قال لي انه بهذه الطريقة سيتخلص منها بسهولة».

«فهمت...».

حاولت كيم جاهدة ان تضبط اعصابها. لم ينته الأمر. فما زال امامها امور كثيرة تريد حلها.

«هل يمكنني ان اراه، حضرة الطبيب؟».

هز الطبيب رأسه وتنفس الصعداء من جديد:

www.liilas.com/vb3

«بكل تأكيد. لكني لا اعرف ردة فعله عندما يراك. انا متأكد من انه ليس هناك انسان واحد في هذا العالم قادر على معرفة ما يدور في ذهن دايف نلسون!».

كان خادم افريقي على اهبة الدخول الى القاعة، حاملاً فنجان قهوة. اخذت كيم منه الصينية ووضعت اصبعاً على فمه حتى لا يعترض. ثم دخلت. كان دايف واقفاً امام النافذة، مديراً ظهره صوبها، ومرتدياً ثيابه، ولما سمع وقع اقدام لم يلتفت لكنه اشار بيده الى الطاولة قرب السرير.

«ضع الفنجان هنا، من فضلك».

اقتربت كيم ووضعت الفنجان في المكان المشار اليه، وقلبها ينتفض. والتفت فجأة وظل برهة طويلة يرتجف وهو يحدق فيها في صمت شامل. والبريق الذي ظهر في عينيه الرماديتين كان سريعاً الى درجة انها لم تكن متأكدة من انها رأته.

قال اخيراً في قسوة:

«منذ عشرين دقيقة اقلعت الطائرة، فلماذا لم تكوني على متنها؟».

«كنت على متنها. ثم طلبت من الطيار ان يعيدني الى هنا».

«لماذا؟».

«لأنني عرفت شيئاً وانا هناك. اكدت لي كارين. . دايف، انا ايضاً يحق لي ان اعرف الحقيقة. ما قلته للدكتور سلبي غير عادل، بالنسبة اليه. . وبالنسبة الي».

«انها مسألة رأي. في كل حال، هذا لا يغير شيئاً. انك تخلقين مشاكل جديدة بعودتك. والآن، سأضطر الى ان اطلب من جيري برايس ان يعود مرة اخرى».

«ليس اليوم، فإنه سيكون مشغولاً طيلة النهار».

«هذا لا يهم. ان شركته تملك العديد من الطائرات والطيارين».

راح يتنقل بعصبية ثم اسند مرفقيه على النافذة.

«لن تبقي هنا. لقد سبق ان طلبت منك ان ترحلي».

«هل انت خائف من عدم استطاعتك السيطرة علي وانت تملك ذراعاً واحدة؟».

«يمكنني ان اواجه قدري من دون ان احتاج الى مساعدتك».

ابتسمت قليلاً:

«آه. لا داعي للقلق. ليس في نيتي ان اشفق عليك. فقال لي الدكتور سلبي انه ليس متأكداً مئة في المئة من انه سيضطر الى بتر ذراعك. لكن لنتوقع اسوأ الأمور. فإن بامكانك ان تتصرف بيد واحدة كأي رجل آخر. . . ثم الم تفكر مرة ان بامكاني الموافقة على البقاء معك لسبب آخر؟».

سألها ساخراً:

«وما هو ذلك السبب؟».

«لنقل مثلا انني مغرمة بك. لا تنظر الي هكذا، هذه هي الحقيقة. لم اكن اريد ان احبك، لكن هذا حصل، ولا سبيل الى انكاره».

«لست ابله الى هذه الدرجة. ربما انجذبت نحوي بالرغم منك، لكن لا يمكنك ان تخلطي هذا الشعور بالحب. اني فقط الرجل الأول الذي افهمك انك امرأة».

«لقد افهمتني اكثر من ذلك. كنت اردد دائماً لنفسي، اني اكرهك، لكن ذلك فقط لأنني كنت اخجل من ان اعترف لنفسي بأنني اريدك بقدر ما كنت تريدني. والرغبة جزء من الحب، بالنسبة الى المرأة، على الأقل، وخصوصاً لامرأة مثلي».

«لماذا انتظرت حتى الآن كي تخبريني بذلك؟ لماذا لم يحدث ذلك امس، او قبله؟».

الجواب عن هذا السؤال كان يتطلب منها شجاعة كبيرة، لكن كيم ترددت وقالت اخيراً:

«لأنني لم اكن متأكدة من عواطفك تجاهي».

«وهل انت متأكدة من ذلك الآن؟».

sarah

«إني... اني اعتقد ذلك...».

اقتربت خطوة منه وقالت:

«دايف، كنت صريحة معك، متخلية عن كبريائي. الا يمكنك ان تقدم على خطوة مماثلة؟».

هز كتفيه في نبرة لا مبالية:

«آسف. انا لا احب النهايات السعيدة».

كانت كيم تتأمل ملامحه القاسية. ووجهه الحجري وعينيه الداكنتين. لكن الغضب المفاجىء العنيف جعلها تصرخ عالياً:

«اذن، لست سوى رجل احمق! وانا ايضاً حمقاء، لأني كنت اعتقد انه في وسعي ان اخترق درعك السميك! اني اعرف تماماً، من تكون يا دايف؟ انت جبان! انك تفضل الموت على ان تتصرف مرة كإنسان. ولهذا، فانا لست اكيدة من انني اريد رجلاً جباناً زوجاً لي. صحيح اني كنت اعتبرك في البداية رجلاً حقيراً ومن دون رحمة، لكن لم يخطر في بالي انه تنقصك الشجاعة. وما عليك اذن الا ان تمضي بقية حياتك في الخوف من العذاب، اذا كان ذلك يعجبك. اما انا، فسوف ابحث عن رجل قادر على ان يتحمل المسؤولية».

www.liilas.com/vb3

كانت تجهش بالبكاء واسرعت الى الباب تبحث عن قبضته محاولة الخروج. ولم تسمع خطوات دايف خلفها، لكن فجأة امسكها بكتفيها وسمرها على مصراع الباب. كان وجهه داكناً ونظرته ساطعة وصرخ قائلاً:

«سأقتلك من اجل هذا! إنها الفتاة المجنونة...!».

سحب يده عن كتفها ثم مدها الى حنجرتها ورفع رأسها. وعانقها بشدة. ولم تحاول كيم التخبط للتخلص منه. بل انها مدت يدها حول خصره. وتقوقعت على صدره وغرزت خديها المبللتين بالدموع في صدره، وراحت تسمع دقات قلبه وتنفسه الدافىء فوق شعرها. همست:

«اني احبك. يجب ان تصدقني، يا دايف. اني احبك!».

«لا يمكنني ان اقول لك الى اي درجة اريد ان اصدقك. عندما عدت، شعرت وكأنني اعيش من جديد. لا اريد ان اقول اني كنت اريد لك كل خير، في البداية. كنت اريدك واستعملت كل ما لدي من وسائل لاحصل عليك. لكني لم اكن ارى ابعد من الوقت الذي ستعودين فيه الى انكلترا».

«كنت تعتقد انك ستكون قد سئمت مني؟».

«ربما...».

راح يداعب شعرها بحركة ناعمة ثم اضاف:

«كنت تختلفين عن بقية النساء اللواتي عرفتهن. اعجبني صدقك تجاه ادامس، مثلاً، حتى بعد ان عرفت الحقيقة. وتصرفك عندما قال لك حقيقته، وما هي قيمته. لم تذرفي دمعة واحدة قبل مغادرة المنزل، الا بعدما فهمت خطورة الوضع. وبعد ذلك، لم اكن انظر الا الى مصلحتي الخاصة. كنت اعرف اني لن احصل عليك بطريقة اخرى، لذلك جاءتني فكرة الزواج المؤقت... من دون ان افكر بطبيعتك الواثقة».

توقف عن الكلام وابتعد عنها ليتفحص وجهها ثم قال:

«هل صدقت فعلاً اني كنت غير مبال».

«لا اعرف... ربما كنت اريد ان اقنع نفسي... ربما كما قلت...».

«لقد قلت اموراً كثيرة، افضل ان انساها! الله وحده يعرف كيف يمكنك ان تشعري تجاهي بهذا الحب بعد كل الذي تحملته مني. وتلك الليلة عندما قررت ان تستسلمي لرغباتي لقاء ما يمكنني ان اقدمه لأدامس من اجل مساعدته على الخروج من الورطة، تلك الليلة كنت سأقتلك انت وهو معاً!».

«لكنك عرفت في الواقع كيف تصرفت في تلك الليلة. وفهمت اني كنت احبك».

«نعم. وحينذاك فهمت انني لا استطيع الابتعاد عنك. لذلك

liilas.com

فقد اقترحت هذه الرحلة الى الجنوب، آملاً ان نتوصل الى تفاهم متبادل وحل نهائي لنبدأ حياة جديدة».

نظرت كيم الى يده المرفوعة على كتفه وقالت:

«وقع الحادث وظننت انك اصبحت عبئاً، لا يمكن لأية امرأة ان تتحمله. دايف، دايف، كنت اعمى لدرجة انك لم تر ماذا فعلت بي، عندما طلبت مني الرحيل؟».

رفعت رأسها لتتأمل من جديد عينيه الرماديتين واضافت:

«والآن، هل تصدقني، قل؟ هل تصدقني؟».

«نعم... نعم، اني اصدقك. لكني افضل ان احذرك مسبقاً. يجب ان تجاهدي كثيراً حتى ابقى مقتنعاً بذلك. اني في حاجة الى حنانك وحبك».

ثم نظر الى ذراعه واصبحت ابتسامته مرة وتابع:

«ماذا استطيع ان أفعل بهذه الذراع؟ يجب ان اتكيف لما يمكنه ان يحصل، ومع الزمن تنحل جميع المشاكل. شخصان وأذرع ثلاث، لا بأس في ذلك».

www.liilas.com/vb3

أجابت مقتنعة:

«واذا كانت أربعاً، يكون ذلك افضل. ليس لدينا سوى رأي واحد وهو رأي الدكتور سلبي. قد يكون مخطئاً. في انكلترا، اطباء وجراحون افضل منه. كما توجد امور تتعلق بقوة ارادتك. وهذا لا ينقصك!».

نظر اليها وقال:

«وماذا لو بترت ذراعي؟».

اجابت بسرعة:

«في هذه الحال، سيضعون لك ذراعاً اصطناعية من الحديد الأبيض. وحينئذ سأتعب قبل ان اتذكر اي ذراع سوف اعض واداعب!».

انفجر دايف بالضحك فجأة معبراً عن فرحه. ووضع ذراعه

السليمة حول خصر كيم ورفعها من دون جهد وجذبها نحوه:

«ذكريني كي اقول لك، يوماً بعد يوم، اني احبك، يا جميلتي. اما الآن فدعيني اغمرك واعانقك الى الأبد».

sarah
liilas.com